

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

رقم التسجيل: M201535105590

M201535108162

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
الرقم التسلسلي:

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب جزائري
بعنوان:

علاقة الأنا بالآخر رواية "سيرابا" لمحمد سعدون أنموذجا

إعداد الطالبتين:

- قدور أميرة

- شنن سهيلة

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الصفة	الجامعة	اسم ولقب الأستاذ
رئيسا	جامعة المسيلة	
مشرفا ومقررا	جامعة المسيلة	د. مهدي عمار
ممتحنا	جامعة المسيلة	

السنة الجامعية: 2019-2020

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وعرّفان

قال تعالى: "... لئن شكرتم لأزيدنكم" سورة ابراهيم الآية 7.

وقال صلى الله عليه وسلم: " من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

رواه الترميذي

لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نحمد الله حمدا كثيرا ونشكره شكرا جزيلا لأنه

سهل لنا المبتغى وأعاننا على إنجاز هذا العمل المتواضع فله الحمد والشكر.

بأكاليل من الاحترام والشكر وأهازيج من العرفان أتقدم بها إلى الأستاذ

المشرف الدكتور مهدي عمار لما قدمه لنا من توجيهات

ونصائح قيمة فنثنى

له دوام الصحة والعافية والمزيد من النجاحات.

وإلى كل اساتذة كلية الآداب واللغات.

اهداء

إلى الذين قادتهم خطاهم نحو علم رفعوا إليه حيننا عمره القلق الدؤوب
ومرفأ سفر مستحيل لا ينتهي ليجدو أنفسهم بعد ذلك أمام
بدايات مغلقة دائما يحاولون فتحها بما يحملون من ذلك
الإشراق المعرفي الذي تزاممه أخطاء المسيرة وعثرات الجسارة المسائلة
... ليزكوا لنا في الأخير نهايات مفتوحة نحاول الولوج منها
إلى عوالم جديدة مجهولة إلى الذين ينظرون بعين
واحدة ويتكلمون بلسان واحد ويرون الأشياء إم سوداء،
أو بيضاء إما شرقية أو غربية.
إلى الوالدين العزيزين بفضل دعواتهم تمكنا
من إنجاز بحثنا المتواضع

أميرة *** سهيلة

الخطة:

المقدمة

المدخل

الرواية العربية

1- الرواية بين اللغة والاصطلاح

2-نشأة الرواية فكيف كانت نشأة الرواية الجزائرية؟

3- الرواية في الأدب الجزائري

الفصل الأول: ماهية الأنا والآخر

أولاً: مفهوم الأنا والآخر

1. مفهوم الأنا

2. مفهوم الآخر

الأنا عند العرب

الآخر عند الغرب

الآخر عند العرب

ثانياً: الأنا والآخر في العلوم الأخرى

1. الأنا الآخر في الفكر العربي

2. مفهوم الأنا في علم النفس

3. مفهوم الأنا والآخر في السياق القرآني

4. مفهوم الأنا والآخر في الفلسفة

5. الأنا الآخر في علم الاجتماع

ثالثاً: العلاقة بين الأنا بالآخر

1. الاختلاف بين الأنا والآخر

مصطلحات متعلقة بالأنا والآخر

الهوية

اللغة

الجانب الديني

العادات والتقاليد

التاريخ

الفصل الثاني: دراسة الأنا والآخر في رواية "سيرابا"

أولاً: العلاقة بين الأنا والآخر في رواية سيرابا

1. الاختلاف في الدين

2. الاختلاف في اللغة

3. العادات والتقاليد

ثانياً: علاقة الأنا بالشخصيات الأخرى

1- علاقة البطل بسيرابا

2- علاقة البطل بـ "عمر لاي"

3. علاقة البطل / الراوي بالشيخ"

خاتمة

مقدمة

مقدمة:

الرواية عمل سردي متخيل يتضمن مقومات عديدة منها الأحداث والوقائع المشكلة في بنية هندسية ترتسم معالمها وحدودها.

والرواية العربية إستمدت بداياتها من الرواية الغربية ولم تظهر معالمها إلا بعد ظهور رواية " زينب " لهيكل واتخذت الرواية عدة أشكال حتى وصلت مرحلة التجريب الحالية.

الرواية الجزائرية سلكت نفس مراحل تطور الرواية المشرقية بنفس الخطوات فالأنا والآخر في الرواية قد أصبحا وما بينها من علاقات صاروا بثيرات إهتمام النقاد والدارسين لما لهما من دور رئيسي في عملية السرد الروائي.

والأنا والآخر في الرواية الجزائرية أثارت بنفس الإهتمام من طرف النقاد والدارسين، ذلك ما سنتطرق في رواية " سيرابا " ل " محمد سعدون " والمعالجة هذا الموضوع لا بد من طرح الإشكال التالي: كيف تجلت صورة الأنا والآخر في الرواية؟ ما العلاقة التي إنبنت عليها ؟ وهل وقف الروائي في حرج هذه الرواية ربطها /توائمها أو تضادها؟.

ولمعالجة الموضوع إعتدنا خطة مكونة من فصلين:

الفصل الأول: نظري تناولنا فيه:

• مفهوم الأنا والآخر لغة واصطلاحا الأنا والآخر في العلوم الأخرى:

• علم النفس

• علم الإجتماع

• الفكر العربي

• الفلسفة

• العلاقة بين الأنا والآخر

أما الفصل الثاني تطبيقي وتناولنا فيه

• العلاقة بين الأنا والآخر في الرواية من حيث

• اللغة

• الدين

• العادات والتقاليد

• علاقة الأنا بالشخصيات الأخرى في الرواية

• علاقة البطل بسيرابا

• علاقة البطل ب" عمر لاي"

• علاقة البطل بالشيخ

وملحقا تناولنا فيه ملخص الرواية، والتعريف بصاحب الرواية ووصولاً إلى الخاتمة التي أوجزت فيها بعض النقاط المعاملة التي خرجت لها من هذه الدراسة، وعن أهم المصادر المعتمدة عليها نذكر الحميد الحميداني، إضافة إلى مراجع أخرى ومن هنا قد نكون قد بلورنا خاتمتنا بنتائج البحث.

وقد إعتدنا المنهج البنيوي والوصفي والتحليلي كونها المنهجين المناسبين لمثل هذه الدراسات السردية/ وقد إعترضت طريقنا صعوبات نذكر منها:

• عدم وجود دراسة مسابقة للرواية كونها جديدة.

• وباء كوفيد 19 الذي حال دون التقائنا

• غلق المكتسبات

• ضيق الوقت

وقد يسر لنا بعض هذه الصعوبات إستنادا للمشرف الدكتور عمار مهدي، والذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته القيمة وله منا جزيل الشكر والإمتنان والعرفان على إشرافه وتوجيهه لنا/ فجزاه الله خير الجزاء، كما نشكر اللجنة المناقشة على ما تجشمته من صعاب في القراءة والتصويب، والشكر موصول لكل من قدم لي يد المساعدة من قريب أو من بعيد في سبيل الكمال هذا البحث بنجاح، ونختتم عملنا هذا باشكر للمولى عز وجل الذي وفقنا على إتمام بحثنا وإخراجه بهذه الصورة.

والله الموفق دائما وأبدا.

المدخل

المدخل:

الرواية العربية

1- الرواية بين اللغة والاصطلاح

- الرواية لغة:

تعددت مفاهيم الرواية من الناحية اللغوية، جاء في لسان العرب لابن منظور الرواية: مشتقة من الفعل "روى"، قال ابن السكيت: يقال رويت القوم أروى هم إذا استسقيت لهم ويقال: من أين ريتكم؟ أي من أين تروون الماء؟¹

ويقال: روى فلان فلانا شعرا، إذ ما رواه له حتى حفظه للرواية عنه وقال الجوهري: "رويت الحديث والشعر رواية، فارتووا في الماء والشعر، ورويته ترويه أي: حملته على روايته".

كما جاء أيضا في الصحاح الجوهري "أن الرواية، التفكير في الأمر، تقول أنشد القصيدة يا هذا ولا تقل اروها، إلا أن تأمره بروايتها أي باستظهارها".²

ورغم هذا التنوع في المدلولات إلا أن الدال واحد، والمعاني تبقى متشابهة فجميعها يفيد النقل والجريان والارتواء، سواء كان معنويا روحيا ونقصد به النصوص والأخبار "أم ماديا ونفي به الماء" والرواية تعني التفكير في الأمر كما تعني أيضا: نقل الماء أو نقل النص، كما تطلق على الناقل نفسه، فبالإضافة إلى كون الرواية تحمل مدلولات لغوية متعددة فهي بطبيعة الحال تحمل معاني مدلولات لغوية: متعددة فهي بطبيعة الحال

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، (د ت)، ص 280 - 282.

² مريدن عزيزة، القصة والرواية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1971، ص 14.

معاني اصطلاحية كثيرة كثرة الدارسين والمفكرين وسنعرض فيما يلي بعضا من هذه المعاني.

الرواية اصطلاحا

تعد الرواية من الأشكال الأدبية التي تحظى بشعبية كبيرة، وحضورا واسع لدى جمهور عريض من القراء.

والتي يسهل على أي منهم التعرف عليها من بين العديد من الأشكال الأدبية الأخرى وهي من أبرز التغيرات الفنية التي توحى بنضج الإحساس بالشخصية القومية، وتصوير حتى الانطباعات الكفاح والمعاناة بشكل يسجل هذه الشخصية ويبلورها، ويبين ملامحها ومميزاتها وعبر ضمير الحياة الأدبية، حملت إلينا رسالة الأدب ذخيرة ضخمة من مظاهر التعبير عن روح الإنسان في صراعه من أجل تجسيد ذاته كان آخرها في الرواية.

هذه الخيرة التي وجد الكثير من النقاد والدارسين صعوبة في تحديد مفهوم دقيق وشامل لها وذلك لتعدد اتجاهاتها وتطور أساليبها مع تطور واختلاف العصور ومنهم "مارط روبر" التي تؤكد أن الرواية لم تحظ بتعريف دقيق وهي إلى حد ما غير قابلة للتعريف".¹

إلا أن البعض قد اجتهد في تعريفها، حيث عرفت الأكاديمية الفرنسية بأنها: القصة مصنوعة مكتوبة بالثر، يثير صاحبها اهتمامها بتحليل العواطف ووصف انطباع وغرابة الواقع".²

¹الصادق قسومة، نشأة الجنس الروائي بالمشرق العربي، دار الجنوب للنشر، تونس، ط2، 2004، ص 47.

²مصطفى الصادق الجويني، في الأدب العالمي، القصة، الرواية، السيرة، ج3، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، ط1، 2002، ص 13.

إلا أن التعريف يعد ناقصا وغير مشتمل على معنى الرواية الحقيقية والصادقة المعبرة عن الحياة في قالب من الخيال وإثارة الدهشة، فما أجمل قول "جورج صائد" حيث قالت: "الحياة تشبه الرواية أكثر مما تشبه الرواية الحياة، وأنا بعيدة عن الإيمان بصدق رواياتي، ولكنني استمتع بها كأنها أشياء حقيقية"، ولم يبعد "بالتان" حيث قال: "رواية بارعة كأحسن سفر في الأخلاق".¹

ربما كانت هذه نظرة الجمال لأصحاب النزعة العاطفية والأخلاقية وهي توحى باقتراب الرواية من الحقيقة ومحاكاتها للواقع.

والرواية في تعريفها البسيط: "جنس أدبي يشترك مع الأسطورة والحكاية في سرد أحداث معينة تمثل الواقع وتعكس مواقف إنسانية، وتصور ما بالعالم من لغو شاعرية وتتخذ من اللغة النثرية تعبيرا لتصوير الشخصيات، الزمان، المكان والحدث يكشف عن رؤية للعالم".²

فالرواية بهذا المفهوم تعد جنسا أدبيا محددًا يشتمل على أقسام متعددة كما يسميها عبد المالك مرتاض، أنواعا: "في حين يطلق على الرواية "جنسا" على اعتبار أن لفظه، جنس "أعم من و أشمل من النوع".³

فالرواية بهذا كسائر الفنون النثرية تعتمد على اللغة، وتستعين في مسارها على عناصر: كالزمان والمكان والشخصيات والأحداث التي تكون بنيتها الأساسية، ورغم اشتراكها وتشابكها مع بعض الأشكال القصصية الأخرى، كالقصة والقصة القصيرة

¹المرجع نفسه، ص 14.

²سمير سعيد حجازي، النقد وأوهام رواد الحداثة، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص297.

³عبد الملك مرتاض، مجلة الأفلام، عن وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ع 11-12، 1986، ص 24.

والحكاية، إلا أنها تبقى لها ما لتلك الأشكال نذكر منها: "اتساع الرواية في أحداثها وشخصياتها، عدا ذلك فهي تشغل حيزا أكثر وزمنا أطول وتعدد مضامينها".¹

فبالإضافة إلى التعاريف السابقة يمكن أيضا إدراج بعض التعاريف التي أوردها بعض الدارسين حيث عرفها "ميخائيل باختين" بقوله: "أن الرواية هي فن نثري، تخيلي طويل نسبيا- وهو فن بسبب طوله، يعكس عالما من الأحداث والعلاقات الواسعة والمغامرات المثيرة والغامضة أيضا، وفي الرواية تكون الثقافات الإنسانية والأدبية مختلفة ذلك، لأن الرواية تسمح بأن تدخل إلى كيانها، جميع أنواع الأجناس التعبيرية، سواء كانت أدبية (قصص، أشعار، قصائد، مقاطع كوميدية أو غير أدبية (دراسات عن السلوك نصوص بلاغية وعلمية ودينية... إلخ) - نظريا- فإن أي جنس تعبيرى يمكنه أن يدخل إلى بنية الرواية، وليس من السهل العثور على جنس تعبيرى واحد لم يسبق - في يوم ما- أن ألحقه كاتب أو آخر بالرواية". (اثم يقول: "وجميع تلك الأجناس التعبيرية التي تدخل في الرواية، تحمل إليها لغاتها الخاصة".²

ونظرا إلى أن الرواية لم تكن تخضع لمواصفات التمثل المسرحي أمام الجمهور أو حتى القراءة الشفوية التي نجدها في الشعر، فقد استطاعت أن تتفادى القيود المفروضة على كل من المسرح والشعر: "فالرواية تنهض على علاقة خاصة بين القارئ والكاتب تتيح لها إمكانيات أشمل من جهة الاندماج المباشر والشخصي في التجربة النفسية التي عادة ما تتم في جو يميل إلى الخلو والوحدة".³

¹ عزيزة مريدن، القصة والرواية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1971، ص 14.

² أمينة يوسف، تقنيات السرد في نظرية التطبيق، دار الحوار للنشر، سوريا، ط1، 1997، ص 21.

³ عبد الرحيم الكردي، البنية السردية للقصة القصيرة، مكتبة الأدب، القاهرة، ط3، 2005، ص 89.

ومهما قلنا في مفهوم الرواية، سنجد ذلك المفهوم يختلف باختلاف المناهج النقدية التي تنتمي إليها رواية ما: (تاريخية أو رومانسية أو واقعية، اجتماعية أو فلسفية أو رمزية... إلخ) ولكن تبقى للرواية ايجابياتها الدرامية، وسحر التشويق فيها والصور الحية التي ترسمها بالكدمات، ومشاهد من الزمان والمكان سجلها السرد.¹

2-نشأة الرواية فكيف كانت نشأة الرواية الجزائرية؟

لا تنسي الرواية المغاربية التي جاءت متأخرة عن شقيقتها في المشرق العربي إلا أنها أخذت شطرا من خصائصها كما كان الإحتكاك بين رواد الرواية العربية في المغرب العربي، وسابقيهم في مصر وسواهم شيئا طبيعيا، وقد ساعدت المصادر والمراجع الموجودة في المشرق العربي، في تأسيس نواة الرواية المغاربية ومنها الرواية الجزائرية التي سوف نتطرق إلى دراستها.

3- الرواية في الأدب الجزائري

يهمنا الحديث عن الرواية الجزائرية التي كان لها الفضل الأكبر في توضيح العلاقة القوية بين الفنان وواقعه من جهة وبينهما وبين الظواهر الفكرية المستجدة من جهة أخرى، وذلك لكون أن الفن الروائي يتوفر على مساحة حديثة أوسع و على فترة زمنية أطول، كما أنه يحتوي على أكبر عدد من النماذج البشرية وهي تتفاعل مع بعضها، أو مع الظروف المحيطة بهاء

كما كان للرواية الفضل في إغناء خريطتنا الأدبية بنماذج روائية كانت في أغلب الأوقات نسخة طبق الأصل للإنسان العربي في الجزائر والذي عاني من ويلات

¹نبيل راغب، فنون الأدب العالمي، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر و نجان"، ط 1، 1997، ص 220.

الاستعمار وجبروته في نفس الوقت الذي مازال يبحث عن أقرب منفذ يوصله إلى العوالم الحضارية المختلفة".¹

لقد تأخرت الرواية الجزائرية في الظهور عن الرواية العربية وبخاصة في المغرب العربي، فمنذ أن وطأت أقدام الاستعمار أرض الجزائر، وشعبه يعيش في ظروف غير طبيعية حاولت فيها فرنسا طمس الهوية الجزائرية وفرنسية الشعب الجزائري وفرض ثقافتها وأدبها ولغتها عليه، مما أدى إلى ظهور طائفة من الكتاب الجزائريين يكتبون باللغة الفرنسية، حيث اختلف النقاد العرب ومنهم الفرنسيون حول انتماء الأدب الجزائري الناطق باللغة الفرنسية هل يدخل هذا الأدب في إطار الأدب الفرنسي أم الجزائري؟²

حيث نجد من بينهم "محمد طمار" الذي يرى "أن الأديب لا يفكر تفكيراً يتصل بالمشكلات الواقعية و الاجتماعية إلا إذا كانت في إطار قومي، ولا يؤدي أفكاره وأحاسيسه تأدية خالصة صادقة إلا باللغة القومية".³

غير أن هذا الرأي يعارضه "مراد بربون" الذي يرى بأن "اللغة الفرنسية ليست ملكاً خاصاً بالفرنسيين وليس سبيلها سبيل الملكية الخاصة، بل إن أية لغة إنما تكون ملكاً لمن يسيطر عليها ويطوعها للخلق الأدبي ويعبر عن حقيقة ذاته القومية".⁴

¹ رشيد قريبع، الرواية الجديدة في الأدبين الفرنسي والمغربي، مجلة العلوم الإنسانية، عدد 21 جوان 2004، ص64-66.

² بشير بويجرة محمد، الشخصية في الرواية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، بن عكنون، (د ط)، د ت)، ص 199.

³ محمد طمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د ط)، 1983، ص 282.

⁴ سعاد محمد خضر، الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (د ط)، 1967، ص 85.

فاتخاذ أدبائنا من اللغة الفرنسية أداة للتعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم لا يحط من جزائريتهم ولا يخرجهم من الإطار الوطني أو القومي حيث يقول "محمد ديب": "... ولأسباب عديدة، فإنني ككاتب كان همي الأول هو أن أضم صوتي إلى صوت المجموع منذ أول قصة كتبتها".¹

إذا ما يمكن قوله في هذا المجال هو أن الظروف كانت سببا في كتاباتهم باللغة الفرنسية "حيث ظهر كتاب وطنيون يؤمنون بحق الشعب ويعيشون واقعه ويحسون بالمشاكل التي كان يعانيها من جراء الاستعمار ما وجدوا وسيلة للتعبير عن هذا الواقع الاجتماعي سوى اللغة الفرنسية التي تعلموها".

وهذا لن يؤثر على مسار الرواية الجزائرية، ولن يخلع عنها جزائريتها مادام الفنان منسجما مع نفسه، صادقا في تعبيره عن واقع بلاده الاجتماعي في تصوير كان الغرض منه نقد الواقع، وهكذا فالكتاب الجزائريون لم يقدموا أدبا له طابع المستعمر، رغم استخدامهم لغته وأفضل ما يمكن أن نصفهم به أنهم كانوا شمعة تحترق في سبيل الإضاءة لقضية بلادهم فعبروا عن واقع المرير بما فيه من بؤس، وفقر وحرمان، فكانت رواياتهم الثلاثية) لمحمد ديب، (الدروب الوعرة) لمولود فرعون، (الأفيون والعصا) و (الهضبة المنسية) لمولود معمري و (نجمة) لكاتب ياسين كانت تصويرا دقيقا وصادقا للمجتمع المضطهد، بل كان لها طابعها الخاص النابع من روح الجزائر نفسها لأن الأديب الجزائري كغيره من الأدباء يواكب المسيرة الأدبية ويتحول معها من عصر إلى آخر".²

¹ عبد الله الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، ط3، 1977، ص 17.

² محمد مصاييف، الرواية الجزائرية بين الواقعية والالتزام، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1981، ص

هؤلاء كتبوا قبل الثورة وأرهبوا لها فلما اندلعت أمدتهم بشحنة جديدة و موضوعات جديدة "فتحرر الوعي الوطني وتفجر معه أدب ثوري اتخذ من الثورة الجزائرية منهلا عذبا يستقي منه".¹

فبرهن الأديب الجزائري من خلال هذا التحول إنه قادر على إبراز كفاءاته، وهكذا شقت الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية طريقها قبل الاستقلال ولكن في شكل غير ناضج ولكنه في الوقت نفسه له أثر في تطوير الفن القصصي في الجزائر.

"ومع هذا لا ننكر بذور نشأة هذا الفن في محاولات جادة قبل الاستقلال من قبل كل من "رضا حوحو" في (غادة أم القرى والتي تعالج قضية المرأة في الحجاز و"عبد الحميد الشافعي" في (الطالب المنكوب) ولكن كل من الروائيتين لم تحظا بالفوز بلقب الرواية وذلك من الناحية الفنية والأسلوبية، ومع بداية السبعينيات وبالضبط في سنة 1970، ظهرت النشأة الجادة لرواية فنية ناضجة ارتبطت برواية (ريح الجنوب العبد الحميد هدوقة" في فترة كان الحديث السياسي جاري بشكل جدي مع الثورة الزراعية، فأنجزها في 05 نوفمبر 1970 تركية للخطاب السياسي الذي كان يلوح بآمال واسعة للخروج بالريف عزلته".²

هكذا نشأت الرواية الجزائرية الناطقة باللسان العربي فقد خلدت لنا شخصيات متنوعة ومختلفة الأهواء والاتجاهات تماما كما حدث مع هذا الإنسان وموقفه من التيارات الفكرية والحضارية المختلفة، التي بدأت تجتاح كيانه بعد الاستقلال وبالذات بعد أن كانت

¹ المرجع السابق، ص 122.

² عمر بن قينة، في الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية المركزية، الجزائر، بن عكنون، (د ط)، 1959، ص

الساحة الوطنية تشهد تغيرات جذرية في كل المجالات وبعد أن بدأ يتشكل من فئات مختلفة ومتنوعة بعد أن كان الاستعمار و الإقطاعيون يستغلونها".¹

كما يمكن قوله في هذا المجال أن "تفوق الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية على الرواية المكتوبة بالعربية إلى الخلفية الثقافية للكتاب، فبينما وجد الكتاب بالفرنسية مجالا رحبا للاحتكاك بالثقافة الغربية التي تزخر بالروايات القيمة افتقر الكتاب بالعربية مثل هذه التجربة، لأن الروائيين العرب أنفسهم اتجهوا بدورهم نحو الرواية الغربية لينهلوا منها".²

فالحديث عن نشأة الرواية الجزائرية يطول والذي يهمنا هو الرواية الجزائرية المعاصرة "فقد حاولت - وإلى وقت قريب أن تقدم وعي الطبقة المثقفة بالواقع كما حاولت أيضا أن تعطي تصور للعلاقات الاجتماعية والثقافية والسياسية في المجتمع، فالرواية ليست تصويرا فوتوغرافيا للواقع المعيش، وإنما هي عالم متخيل يخلقه الروائي لأنه لا يقدم الحقيقة بل يطرح إبهاما بها، هذه الحقيقة التي تقوم على أزمنة فنية يلعب فيها الخيال دوره البارز، وهكذا يكمن دور الروائي في تقديم رؤيته لهذا الواقع والكيفية التي يراها لائقة لصياغته.

فالرواية إذا علم يخلقه الروائي يجعل منه عالمه الخاص ويحاول أن يمزجه بالواقع سواء كان واقعة المعيش أو المتخيل.

¹ بشير بويجرة، المرجع السابق، ص 199.

² عائدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري 1925 - 1927، ت: محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، (د ت)، ص 62

الفصل الأول

ماهية الأنا والآخر

الفصل الأول: ماهية الأنا والآخر

أولاً: مفهوم الأنا والآخر:

1. مفهوم الأنا:

وردت كلمة الأنا في لسان العرب في هذا المقتبس، قال الجوهري: وأما قولهم "أنا" فهو اسم مكني وهو للمتكلم وحده، وإنما بني على الفتح فرقا بينه وبين "أن" التي هي حرف ناصب للفعل، والألف الأخيرة إنما هي لبيان الحركة في الوقف¹، ولقد وردت في المعجم الوسيط بمعنى: ضمير رفع متصل للمتكلم أو المتكلمة.²

الأنا هو وصف للشخص المؤنث والمذكر على حد سواء مصورا لذاته وانعكاسا للشخصية وهذا ما جاء في المعجم المحيط: "ضمير رفع منفصل للمتكلم مذكرا ومؤنثا، استثناه وجمعه نحن".³

ولفظ أنا في اللغة العربية اسم للمتكلم وحده لا تنثية له من لفظه أما (أني) فنثيته (إننا) وتشير (نحن) إلى (أنا جمعين) فهي تصلح في التنثية والجمع.⁴

والأنا هو التعبير النحوي المتعدد في اتصاله وانفصاله الذي يؤكد العقل الفردي للتلفظ في النص.⁵

¹ ابن منظور "لسان العرب"، اعتنى بتصحيحه أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1444 ص 37.

² إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، توكيان (د. ط)، (د. ت)، ص 28.

³ بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، لبنان، (د. ط)، 1987، ص 18.

⁴ ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله الله الكبير، وآخرين، القاهرة، دار المعارف، دن، ج1، ص 160.

⁵ السلطان عبد القادر الشاوي، الكتابة والوجود "السيرة الذاتية في المغرب"، دار الشرق، بيروت لبنان، د. ط، 2000، ص 164.

ولهذا نستنتج أن الأنا هي وصف للشخص المذكر والمؤنث تخص المتكلم وحده، وهذه الأنا تصور الشخص أو الفرد وتعكس شخصه وأفعاله.

2. مفهوم الآخر:

أ- لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور "الغير" غير من حروف المعاني تكون نعنا وتكون بمعنى لا، وقيل بمعنى سوى، والجمع أغيار وهي كلمة يوصف بها ويستثنى فإن وصفه بها اتبعها إعراب ما قبلها، وإن استثنى بها أعربتها بالإعراب الذي يجب للاسم الواقع بعد إلا، وذلك أن أصل غير صفة، والاستثناء عارض، وتغايرت الأشياء، واختلفت، وقبل الغير اسم واحد مذكر، والجمع أغيار¹.

ب- اصطلاحاً:

عرف مراد وصية Othen autre، بأنه: أحد تصورات الفكر الأساسية، ويراد بها سوى الشيء، مما هو مختلف أو متميز ويقول أندريه لالان "آخره غير autre": أحد مفاهيم الفكر الأساسية ومن ثم فهو نقيض الذات Mone ويقال على أن هذه الأخيرة تتعلق أولاً بالعملية العقلية التي تعرف الغيرة بواسطتها، بينما تقال الأولى خصوصاً على وجود الغيرية من صبت في موضوعيته².

وفي معجم الصحاح " نجد أن الآخر " يفتح إichاء أحد الشئيين وآخر يؤنث وللجمع يغير من ويغير الألف واللام ويغير الإضافة: تقول مررت برجل آخر وبرجال آخر، وآخرين وبامرأة أخرى، وينسوة أخرى وتصغير أخرى أخيري"³.

¹ ابن منظور " المرجع السابق، ص 457.

² أندريه لالان " معجم مصطلحات الفلسفة النقدية والتقنية".

³ الجوهري " معجم الصحاح"، دار الحديث، القاهرة د، ط، 2009، ص 29.

الأنا عند الغرب:

عرف يونغ الذات (الأنا) في صورة أخاذاة فيقول "الأنا هي جزيرة صغيرة في مجال غير محدود يمثل اللاشعور".¹

المقصود هنا أن الذات أو الأنا لا تكون واعية إلا في إطار مجال معرفتها فكل ما دون حدود المعرفة يخرج عن حدود اللاشعور.

الأنا عند العرب:

هو ذلك المفهوم الذي يكونه الفرد عن نفسه باعتباره كائنا بيولوجيا، اجتماعيا، أي باعتباره مصدرا للتأثير والتأثر، أو بعبارة سلوكية هو ذلك التنظيم الإدراكي الانفعالي الذي يتضمن استجابات الفرد نحو نفسه ككل.²

وهناك من وضع للذات مفهوم لثلاثة أبعاد أو مفاهيم جزئية.

فهناك مفهوم الذات: العام ويتجسد حين يعبر الشخص عن نفسه، وتتفرع عنه الذات الواقعية وتشمل المدركات، والتصورات والذات الاجتماعية فيها المدركات التي تعتقد أن الآخرين يتصورونها وهذا يعني أن الأنا هي مصدر الإدراك الذاتي، وما تميل له الذات من انفعالات تؤثر في نفسه.

الآخر عند الغرب:

يعرف الآخر بالفرنسية Autre التي أصلها لاتيني Alter ، وقد ورد في قاموس Le robert أن الآخر هو: "أنا، ويرى جون بول سارتر "أنه الذي لا تستعني عنه الأنا".³

¹مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط4، 2000، ص 20.

² عماد الدين سعد اسماعيل، النمو في مرحلة المراهقة، الكويت، دار العلم، 1981، ص 19.

³ La rousse, 2012.

وحاولت جوليا كريتشفا أن تعطي تعريفا للآخر بقولها: "أولا يستشعر الفرص خصوصيته، تلك الشفاه عظام الوجنتين تلك البشرة المختلفة عما لدى الآخرين، كل ذلك يميزه ويذكره شخص ما هناك".¹

فما جاء به جون بول سارتر بمفهومه للآخر: أنه لا يمكننا أن نعرف الأنا دون الآخر فالأنا لا تعرف نفسها إلا من خلال الآخر.

الآخر عند العرب:

ويعتبر السيد يس "الآخر من الموضوعات الهامة التي واكبت تدفق العولمة فالآخر إما ان يكون فردا مختلفا أو مجتمعا مختلفا او ثقافة مختلفة"²، وهذا يعني أن الآخر ليس كما اعتقدنا بأن كل خر هو شخص تخالف ذاتنا، بل يمكن أن يتكون ثقافة شاملة أو مجتمعا.

ثانيا: الأنا والآخر في العلوم الأخرى

1. الأنا الآخر في الفكر العربي:

يعد عنصر الأنا والآخر من المواضيع التي شغلت بال المفكرين والباحثين، وذلك لترابطهما واتصالها ببعضهما البعض حيث لا يمكن ذكر عنصر الأنا دون الآخر فاستخدم أي منهما سيدين تلقائيا حضور الآخر.

نلاحظ من خلال ما جمعه الدارسون بأن دائرة الأنا والآخر ما هي إلا في اتساع دائم وذلك لغموض دلالتها ومعانيها المضمرة، فالأنا قد تعني بلاد " الشرق " أو " الإسلام " أو " العروبة " أو بلدان " العالم الثالث " أو " النامي " أو " المتخلف " ... إلى آخر هذه التسميات الواردة ما بين قوسين فهي دوائر متداخلة يصعب الفصل بينها أو

¹ صالح بريك، 2007.

² السيد يس: حوار الحضارات ، الغرب الكوني والشرق المتفرد، ط1، القاهرة، مصر، 2002، ص 24.

حصرها ضمن مجال محدد، ولا تتم معرفة "أنا" أو "آخر" من دون اختزالهما، أي أن إحدى الإشكاليات التي تمنح القطبية الحادة لأن ما ولاحر هي أن هذا الذي تطلق عليه الأنا آخر، غير واضح مثلها تمام، ولا يوجد في سمة محددة بل وبتسجيل تحديد، الأتثبويه واختزاله"¹.

وإذا اختزلنا دائرة الأنا فإننا نجدها تصب في الاستخدام الشائع وهو "الشرق" في مقابل مصطلح الغرب"، "فالآخر" اعتبر الشرق مفهوما يمثل نقيض الغرب وليس له حدود، بل ويجوز أن يبقى كل العالم الذي لا يدخل في دائرة الغرب، وداخل امتداده المباشر... لكنه اقتصر على الشرق الأكثر قربا الذي كان ولا يزال الغرب يحتك به، وهذا الشرق يضم العالم العربي وإيران وتركيا"².

وإذا أردنا أن نضبط مصطلح "الشرق" فإن التاريخ يعود بنا إلى جذوره الأولى، فقد كان مدلول هذا المصطلح يشمل سوبا ومصر وبلاد الرافدين، واتسع ليشمل بالإضافة إلى ما سبق الجزيرة العربية وفارس وتركيا، ثم امتد في مراحل لاحقة ليشمل بالإضافة إلى ما سبق الجزيرة العربية وفارس وتركيا، ثم امتد في مراحل لاحقة ليشمل الهند والصين واليابان وما إليها من بلدان آسيا، فلقد جعل الآخر لدى الغرب يأتي في مقابل الإسلام"³.

هذه التنمية ليست ناتجة عن خصائص اجتماعية أو بشرية... أو اقتصادية بل هي سياسية غربية رأسمالية تستقطب دولا غير عربية وتستبعد دولا عربيا"، تسمية الشرق انطلقت من معطيات جغرافية وأرى أنها غير ذلك، قد يكون السبب في ذلك " أن الذاكرة

¹ علاء عبد الهادي، شعرية الهوية، مرجع سابق، ص 321.

² محمد نور الدين أفاية، المتخيل والتواصل مفارقات العرب والغرب، دار المنتخب العربي، بيروت، (د، ط)، 1993، ص 96/95.

³ محمد عابد الجابري، الغرب والإسلام، مجلة العرب، ع503، الكويت أكتوبر 2000 ص 908.

الأوروبية لا تريد أن تتخلى عن فكرة كون الوطن العربي، ولا سيما شمال إفريقيا ومصر والشام، كانت في يوم من الأيام جزءا من الإمبراطورية الرومانية الشرقية"¹.

وإذا كان إطار الأنا تكتنفه هذه الميوعة، فإن الشأن تحته بالنسبة للآخر، الغرب نفهم من دلالاته من السياق، وتكمن أن يتحدد باعتباره البعد السياسي أو الجغرافي أو الاقتصادي... وهو قد يكون أوروبا أو الدولة المقدمة عموما، أو الآخر المختلف دينيا أو حضاريا أو هو كل هذا معا، فالحظ شائع ولم يقع تحديد الحقول الدلالية لهذا المصطلح، وإنما وقع التعامل مع الغرب باعتباره مسلمة لا تثير السؤال وهو عادة نقيض للعرب ومقابل له².

وقد أكد ذلك الغربيون أنفسهم على لسان أحد باحثيهم يقوله " لقد اعتدنا نحن الأوروبيون منذ مدة أن نطلق على مجموعة البلاد التي تنتمي إليها اسم الغرب ولم يعد هذا التعبير يعني وضحا جغرافيا خالصا، بقدر ما يعني كيانا ثقافيا واجتماعيا وسياسيا وعسكريا"³.

2. مفهوم الأنا في علم النفس:

يسمى " سيجموند فرويد" أكبر علماء التحليل النفسي، النفس البشرية بشخصيتها وذاتها بالأنا والأنا هي الذات"⁴ " والذات هي كل ما تشتمل عليه هذه الذات من خصائص وسمات نفسية عقلية أو مزاجية، ودفاعية من أفكار وطموحات، وصراعات، أو توترات، وحاجات فيزيولوجية، وحاجات نفسية، كالحاجات للحب، والانتماء أو الأمن، وتحقيق الذات، وغيرها من الحاجات والدوافع"⁵.

¹ محمد راتب الحلاق، نحن والآخر، ص 03.

² الزهرة بلحاج، الغرب في فكر هشام شرابي، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 14.

³ المرجع نفسه، ص 04.

⁴ عبد المنعم بدر، أحمد الصباحي عوض الله: تفسير الأحلام، الديني والعلمي، كتاب الشعب 1969، ص 39.

⁵ شاكر عبد الحميد، الذات والآخر في عملية الإبداع، مجلة سطور، ديسمبر 1996، ص 63.

واختلف الباحثين في تحديد مفهوم الأنا، حيث ذهب " فرويد " إلى " أنها خصائص النفس البشرية ف" الأنا" هي مركز الشعور عند "يونج" وهي أحد النماذج الأصلية الكبرى للشخصية، وهي ما يعطي الإحساس بالإنسان والتوجيه عند المستوى الخاص بالحياة الشعورية، وهي تميل على مواجهة كل ما يمكن أن يهدد هذا الاتساق الهش للشعور، وتحاول " الأنا" أن تقنعنا بأننا ينبغي أن نخطط ونحلل خبراتنا بشكل واع، وأما الذات فهي الهدف الذي تطمح " الأنا" للوصول إليه، إنها المكون الأكثر تكاملا وارتقاء من "الأنا" وهي النموذج الأصلي المركزي¹.

ونجد أيضا " جيمس " james الذي عرف " الأنا" " بانها ذلك التيار من التفكير الذي يكون إحساس المرء نحو نية الشخصية، وقد رأى " كولى colley" أن طبيعة "الأنا" هو شعور أو خبرة شعورية يمكن أن نطلق عليها شعوري my feeling أو الشعور والاستحواذ Sense of Appropriation وهذه المشاعر غريزية ووظيفتها الرئيسية هي توجيه ضروب نشاط الفرد، ودفعها إلى الأمام، وتنتج الجوانب المختفية "الأنا" من خلال التعامل مع الآخرين².

غير أن هناك من يعرف الأنا بأنها هي نفسها الذات، وهذا ما ورد في قول "إبراهيم مذكور" بأن الأنا هو الذات التي ترد إليها أفعال الشعور جميعها وجدانية كانت أو عقلية أو إرادية، وهو دائما واحد مطابق لنفسه، وليس من اليسير فصله عن أعراضه، ويقابل الغير والعالم الخارجي ويحاول فرض نفسه على الآخرين وهو أساس الحساب والمسؤولية³.

¹ د، شاكر عبد الحميد: الظل والقناع، أنا تبحث عن ذاتها، مجلة "إبداع" يونيو العدد السادس، 1998، ص 132.

² د، إبراهيم أحمد أبو زيد: سيكولوجية الذات والتوافق، دار المعرفة الجامعية 1987، ص 84.

³ إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة (د، ط)، 1983، ص 23.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الإلتلاف الواضح بين الأنا والذات لتشكل بذلك شخصية واعية، " فالذات تحتضن النفس الواعية، والنفس الجماعية، وتشكل بذلك شخصية أوسع، وتلك الشخصية هي نحن¹ .

أما من جهة أخرى نجد البعض من علماء النفس على اختلاف غيرهم يفرقون بين الأنا والذات، " فيونغ" يراها مركبين مستقلين بل ويزيد من القوة بينهما لتصبح المسافة التي تفصلهما " كالمسافة مثل ما بين الشمس والأرض... فالذات يمكن أن تعني ما يماثل تعويضا عن الاصطدام بين الخصائص الشخصية والمألوفات المجتمعية نجده في الاشتباك الواقع بين العالم الداخلي والعالم الخارجي"².

ومن كل ما سبق يمكننا أن نستنتج أهمية الوظيفة التي يقوم بها الأنا في توليه الإشراف عادة على منافذ الحركة.

ومنه بإمكاننا القول بان الأنا قد أخذت مساحة كافية واهتمام من قبل علماء النفس.

3. مفهوم الأنا والآخر في السياق القرآني:

ورد لفظ الأنا في القرآن الكريم بصيغة المفرد (أنا، إلي، أنني) وبصيغة الجمع (إناء، أنا، نحن) دالا على ذات الله تعالى.

يقول عز وجل: (نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ).³

وكذلك سورة الرعد آية 41، وسورة الأنبياء آية 25، وسورة مريم آية 67، كل تلك السور تشير إلى العلاقة بين الله عز وجل وبين مخلوقاته نحو انفراد الله عز وجل بعلم الغيب

¹ يونغ، 5، غ، جدلية الأنا اللاوعي، ق نبيل محسن، دار الحوار، سوريا، (د، ط) 1997، ص 942.

² دافي ماري دالين، معرفة الذات، ث ينم نصر، منشورات عويدات، لبنان، فرنسا، (د، ط)، 1983، ص 150.

³ الحجر 49.

قال عز وجل: (قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ)¹

تحدثت الملائكة بضمير المتكلم لبيان أنهم مسبحون بحمد الله التنزيل بالمهمة، التنزيل بالعذاب وحرصهم على دفع شرور السحر وتمكينهم من الوقاية منه في السور: سورة فصلت آية 31، وسورة مريم آية 19، وسورة هود آية 70، وسورة البقرة آية 102².

لفظ "أنا" في اللغة العربية اسم للمتكلم وحده، لا تثنية له من لفظه، أما "أنا" فتثنيته "إنا" وتشير "نحن" إلى "أنا جمعي"، فهي تصلح في التثنية والجمع، أما الآخر " فأصله لغة على وزن أفعل أبدلت همزته ألفا للتخفيف، وهو من التأخر"، وفيه معنى الصفة لا ثنياته على تلك الصيغة، وهو بمعنيين: أحد الشئيين أو الغير، وهو لفظ يتحمل الأفراد والتثنية والجمع، والتذكير والتأنيث والتصغير فالعرب يقولو: آخر: أخرى، آخران، أخريان، أواخر، أو يخر، ولللفظ "الآخر" تعنيان: أحد الشئيين الذين هما من جنس واحد والآخر بمعنى: غير، والمعنى الأول جرد بين الأنا والآخر بوحده الجنس أما الثاني فيقرر غير به مطلقة بين الخالق والمخلوق.

ومن هنا يمكننا ان نقول بأن مفهوم الأنا والآخر قد ورد ذكره في آيات عديدة كما ذكرنا سابقا، وهذا الأهمية الموضوع، لأن الأنا والآخر وجدت في كل المجالات وأهمها القرآن الكريم وتحدد وجودها في السياق القرآني في دلالات كثيرة.

¹البقرة 32.

² الدكتور السيد عمر: " التأجيل النظري " الأنا والآخر من منظور قرآني، دار الفكر دمشق، ط1، 2008، ص 133.

4. مفهوم الأنا والآخر في الفلسفة:

لقد بدأت الدراسات الفلسفية منذ القدم اهتماما بالأنا والآخر فهذا العصر اليوناني حيث، " تفلت الذات الإنسانية بما فيها من غموض وتنوع عددا من المفكرين والفلاسفة اليونان"¹.

وفي العصر الحديث لقيت اهتماما موسعا في نطاق الفلسفة بصفة عامة، وفي نظرية المعرفة ترجم مصطلح الذات بالماهية ولقد أسهمت الفلسفة الوجودية في دراستها لهذا المصطلح "الأنا" بأن سألنا عن الأنا هو نفسه السؤال عن الوجود، ويترتب عن ذلك القول بأن الوجود هو أولا وجودي أنا " أن الذات المتفردة"².

يقول ابن سينا المراد بالنفس، "ما يثير إليه كل أحد بقوله أنا".

أما ديكرت فحاول أن يجعل الأنا مجال المعرفة الجوهرية فربط بين الأنا فكرا، والأنا وجودا ليصل إلى نتيجة "أفكر اذن أنا موجود" أما فيتشبه فقد ضمها إلى فلسفة العلم، "حيث له معرفة فوق إمكانية العقل أو خارجها معرفيا ووجوديا، وأصبحت الأنا المطلقة عنه هي تركيز نظرية العلم"³.

ومنه نستنتج أن كل المقولات السابقة قد غلبت مفهوم الأنا، من المنظورين المعرفي بالوجودي لكن وجودها هذا هو وجود في عالم ليس عالمها، أي أنها موجودة فيه، وقد ترتب عن هذا الوجود في أن صار من صفاتها الجوهرية أنها محاطة أو في حالة تعين مع الغير فليس ثمة ذات مفردة وحدها، ومنه نستنتج أن الآخر يأتي بمعنى صفة كل ما

¹ ميشال فوكو، الإنعام بالذات، ت جورج أبو صالح، مركز الإنماء العربي لبنان، د.ط، 1992، ص 32، 33.

² عبد الرحمن بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، النهضة المصرية، ص 19.

³ ينظر، عباس يوسف الحداد: الأنا في الشعر الصوفي، ص 192.

هو غير أنا، وفكرة الآخر بمعنى غير الأنا مقولة إبستمولوجية ملخصها الإقرار بوجود خارج الذات العارفة، أي كينونات موضوعية¹.

أما "عبد القادر شرشار" فيرى بأن الآخر عبارة عن مركب من السمات الاجتماعية والتقنية والفكرية والسلوكية التي بنسبها فرد ما، أو جماعة ما إلى الآخرين².

أما مارتن هايدنر فنجدته يرى بأن الآخر "مرتبط بالسقوط، وهذا الآخر قد رمي به في هذا العالم فسقط فيه، فلا نملك التسليم به وهذا السقوط له ينطوي فقط على جانب سلمي، بل على جانب أنجاني إذ لغيره ما كان يمكن وجودي أن يكتشف لنفسه ولولاه لظل وجودي في إمكانيات للوجود لانهاية لها، أي أن سقوطي معناه أيضا... هو الذي فيه أحقق إمكانيات وجودي" بمعنى سقوطي هو الذي حدد في وتحديدي تحقق وجودي العيش³.

وما يقصده "هايدنر" بالسقوط هو تواجده في هذا العالم مع الآخر الذي أدى إلى تحقيق كينونته ومعرفتها التي لا تتم بمعزل من معرفة الآخر ومن نستنتج أن إدراك المرء لذاته لا يحصل دون الوعي والغير في نفس الوقت لأن الإنسان في تعامله مع الآخرين من أفراد مجتمعي يتصرف بوعي، وبوفق بين ما يقوله الآخرون عنه ومن يعتقد في نفسه، وبالتالي فوجود أنا متعلق بوجود الآخر.

5. الأنا الآخر في علم الاجتماع:

يعتبر موضوع الأنا والآخر من أهم المواضيع التي لقيت اهتماما بارزا في علم الاجتماع، وذلك لأنهما اللبنة الأساسية التي تشكل الترابط والبناء الاجتماعي، وإن "اهتمام علم الاجتماع الأساسي ينصب على البناء الاجتماعي "Social Structure" ككل وما

¹ ينظر، عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة (مادة آخر) ج1، ص 13.

² عبد القادر شرشار، كتابة الآخر في الرواية العربية المعاصرة، د ط، د، ت، ص 147.

³ عبد الرحمن بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، المرجع سابق، ص 90.

تحويه هذا البناء من مكونات، وما يحدث بينها من علاقات وتناقضات"¹، والأنا في علم الاجتماع يدرس من خلال علاقاته بمحيطه، وبالتالي من خلال علاقاته بالآخر، ومن هنا يمكننا تعريف الأنا بأنه " فرد واع لهويته المستمرة ولارتباطه بالمحيط"² والعلاقات بين الأنا والآخر على الصعيد الاجتماعي، تتمظهر في عدة ثنائيات، كالحب والكره، أو السيطرة والخضوع، الحرب، السلم، وغيرها " ويقترح تودروفي" تصنيفا للعلاقات مع الآخرين، يقوم هذا التصنيف على ثلاثة محاور، يمكن أن تعلق عليها إشكالية الغيرية، أنه أولا: حكم قيمة (على الصعيد الأخلاقي): الآخر جيدا أو شيء، أحبه أ، لا أحبه، هناك ثانيا فعل التقرب أو الابتعاد بالنسبة للآخر (على الصعيد العملي): أنقبل قيم الآخر وأندمج معه أو أجعل الآخر يتمثلني، وآخر من عليه صورتي الخاصة، بين الخضوع للآخر، وخضوع الآخر، يوجد أيضا تغير ثالث الذي هو الحياة، أو عدم الاهتمام، وثالث أتعرف إلى هوية الآخر أو أتجاهلها (ويكون هذا على الصعيد العلمي البحثي)، ومن الواضح أن لا يوجد هنا أي مطلق، ولكن يوجد لأنها في بين حالات المعرفة البسيطة أو الأكثر عمقا"³.

إذا فيمكننا أن نستنتج بان علاقة الأنا بالآخر في علم الاجتماع، علاقة وطيدة، وترابطهما حتمي، وإلا فلا معنى لهذا العلم، إذ بعد موضوع الأنا والآخر من بين أهم أسسه.

هذا بمعنى أنه لا وجود للأنا بمعزل عن الآخر الا نادرا حيث أن الأنا تشكل ويتكون من

خلال تشابك العلاقات .

¹ عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات في نظرية علم الاجتماع، سلسلة عالم المعرفة، المحلي الوطني للثقافة والفنون الكويت، عدد 44، أوت 1981، ص 16.

² ميخائيل إبراهيم أسعد، شخصيتين كيف أعرفها؟ دار الآفاق الجديدة، لبنان ط3، 2003، ص 70.

³ عبد القادر شرشار، كتابة الآخر في الرواية العربية المعاصر، مجلة الخلدونية العدد التجريبي، نشر ابن خلدون تلمسان، 2005، ص 148.

ثالثاً: العلاقة بين الأنا بالآخر:

1. الاختلاف بين الأنا والآخر

انتشر في الخطاب العربي خلال العقود الأخيرة استعمال مفاهيم كثيرة لم تكن متداولة من قبل، وكما يحدث عادة عندما ينتشر مفهوم من المفاهيم لأول مرة ليعبر عن وضعية اجتماعية أو سياسية أو فكرية فإن الناس يتعاملون معه بكثير من التساهل، خصوصاً إذا كان مترجماً من ثقافة أجنبية ولا "أصل" له في ثقافتهم، لذلك يحسن القيام من حين لآخر بالتذكير بالمضمون الحقيقي لتلك المفاهيم في الخطاب الثقافي، الفلسفي الذي فيه نشأت وإليه تنتمي.

لنبدأ بمفهوم الأنا و "الآخر" والعلاقة بينهما والذي ينتمي أصلاً إلى الفكر الأوربي ولنتساءل ما هو المعنى الذي يعطيه هذا الفكر لهذا المفهوم؟

يصعب تحديد مفهوم والآخر بمعزل عن مفهوم الأنا أو الذات، وهذا راجع لكونهما متداخلين، إذ يسهم كل واحد منهما في تكوين وتنمية الآخر، ف " بقدر ما ينضج مفهوم الذات وترتسم حدوده فإن مفهوم الآخر في الجهة المقابلة ينضج بنفس المقدار وترتسم حدوده " ¹، أي أن الآخر هو " الكائن المختلف عن الذات، وهو مفهوم نسبي ومتحرك، ذلك أن الآخر لا يتحدد إلا بالقياس إلى نقطة مركزية هي الذات، وهذه النقطة ليست ثابتة بصورة مطلقة، فقد يتحدد الآخر بالقياس إلي ك فرد " ².

وعليه فإن الآخر مفهوم جمعي يتجاوز كونه مفهوماً فردياً، فالمجتمع يشكل تصويره عن الآخر، انطلاقاً من تصويره لذاته، لأن " الذات أو الأنا هي مركز شخصياً، وإنما لا

¹ الخباز محمد: صورة الآخر في شعر المتنبي، نقد ثقافي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2009، ص 22.

² المرجع نفسه، ص 23.

تنمو ولا تفصح عن قدراتها، إلا من خلال البيئة الاجتماعية، وأن الشعور بالأنا لدينا لا يبرز دون أن يكون مصحوبا بذوات الآخرين " ¹ ما يؤكد التلازم الحاصل بين صورة الذات وصورة الآخر على المستويين الفردي والجمعي .

الحديث عن الآخر يعني اكتشاف الذات، وعلاقة هذه الذات مع الآخر سياسيا واجتماعيا وحضاريا وثقافيا، وهذه العلاقة قائمة على أساس أن الذات هي المكون الأساسي في حركة الفكر والثقافة بشكل عام، وهي الأصل، وهي الصواب، والآخر هو مجرد ظل لهذه الذات، وهي فرع عنها وهو الخطأ لكل تصوراتها وتظل العلاقة بين الأنا والآخر علاقة جدلية افتراضية، فقد تكون الأنا على حساب الآخر، وإلغاء الآخر لصالح الأنا، وهذه العلاقة قائمة على ثنائية الاستياء، وعلاقة التضاد القائمة بينهما، واستحالة الرجوع بين هذه الثنائيات، مثل الحياة والموت، والخير والشر، والصواب والخطأ، والذكورة والأنوثة ² ... إلخ.

لقد أكد بول ريكور على مسألة العلاقة المعقدة بين الأنا والآخر، ولكن قبل ذلك تعرض إلى الهوية الذاتية التي تنقسم إلى نوعين هوية ذاتية تنتمي لعالم الأشياء وأخرى تبقى ثانية دائما وتنتمي إلى عالم الوجود، وهي ما يطلق عليه الجوهر.

بالعودة إلى علاقة الذات بالآخر، يرى بول ريكور أن الذات دائما ما تبحث عن الحياة الحسنة فتنتقل من القدرة على تحديد أهداف معينة واختبار الوسائل الكفيلة بالوصول إليها أي رؤية تنطلق مثل هذه الحياة من قدرتنا على العمل عن قصد، وتكره التقدير لذاتنا

¹ أبو العينين (فتحي)، صورة الذات وصورة الآخر في الخطاب الروائي، ص 812، العربي لتحليل سيولوجي لرواية "محاولة فروج"، ضمن كتاب: صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا دينيا، تحرير: لبيب، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1999، ص 812.

² أ.د خليل عودة، مقال بعنوان: جدلية العلاقة بين الأنا والآخر، سيناريو جاهز لمحمود درويش، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين.

التي تتحكم في خياراتنا، إن تقديرنا لما نفعله ورضانا عنه هو المعيار للعمل الخير الجيد لهذه الحياة التي نريدها رغبتنا الأساسية ناجحة بلا ضرر ولا ألم¹، فالذات تبحث عن السعادة في الحياة غير أن تصادمها مع الآخر الذي تكشفه شريكا في العيش، غالبا ما يفرض عليها " موقفا متعاطفا مع الآخر الذي التقيه كل يوم، وهذا يتطلب ليس فقط اهتمامي بالآخر بل العناية به ورعايته تقدير الذات ينعكس احتراما للآخر، ومن دون هذا الاحترام ليس هناك من تبادل ممكن مع هذا الآخر " 2 مما يحدث خلا كبيرا في العلاقة بينهما.

وبذلك فإن العلاقة بين الأنا والآخر بقدر ما هي علاقة شرطية تلازمية هي علاقة جدلية ومن هنا لا بد من التساؤل عن كيفية التعايش بين الأنا والآخر، في إطار جدلية العلاقة والمفارقة المانعة الجامعة، " فكيف يمكن للمرء أن يدير اختلافه عن سواه، وأن يمارس هويته بصورة عقلانية تواصلية " 3، إذ لا يمكن إلغاء الآخر أو رفضه، أو بإقصائه من مطلق أن احترام الآخر والقبول به وإكرامه نابع من احترام الذات وإكرامها إذ " قانون احترام الآخر والاعتراف بحقوقه قدر حتمي اعترفنا به أم لم نعترف، قبلنا به أم لم نقبل، اكتشفنا أم لم نكتشفه، ذلك أن القانون موجود في حركة الحياة وهو طبيعة الحركة الجوهرية للإنسان " 4.

فاحترام الآخر والقبول به هو أول خطوات التعايش بين طرفي الثنائية.

¹ بول ريكور: الذات عينها كآخر تر وتقديم وتعليق: جورج زيناتى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 52.

² المرجع نفسه، ص 53.

³ على حرب العلم ومأزقه (منطق الصدام ولغة التداول) منشورات المنطق الثقافي العربي، سوريا، 2002، ص 278.

⁴ غريغور، منظور موشو، سيد محمد الصادق، الحبشي نحن والآخر، ص 135.

2. مصطلحات متعلقة بالأنا والآخر:

وقبل الخوض في التفاصيل المحددة لعلاقة الأنا بالآخر، لا بد من فهم بعض المصطلحات التي تتردد في هذا الحقل.

1. الهوية:

ومعناه الشيء نفسه بما يجعله مبينا لما يمكن أن يكون عليه شيء آخر ويميزه عنه، كما يتضمن مفهوم الهوية الاحسان بالانتماء القومي والديني والإثني¹.

• **متماه:** عمل بموجبه يغدو كائن متماهيا بآخر أو بمقتضاه يغدو كائنات متفاهمين في الفكر أو في الواقع كلياً أو فرعياً².

• **أنا:** يقابلها في اللغة الفرنسية مصطلحات هما: Moi, Je.

• **الذات:** (Même) أو (Soi) أو (Soi- même).

• **آخر غير/** هو نقيض الذات، ويقال على كلمات شتى Divers، مختلف different متميز Distinct على أن هذه الأخيرة تتعلق أولاً بالعملية العقلية التي تعرف الغيرية بواسطتها، بينما تقال الأولى خصوصاً على وجود الغيرية من حيث هي موضوعية³.

• **الغيرية:** السمة التداولية الغالبة على الغيرية اشتمالها على معنى التحول أو التبديل والمعارضة⁴.

¹ جون جوزيف، اللغة والهوية (قومية، اثنية، دينية) تر: د. عبد النور خرافي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 942، أغسطس 2007، ص 07.

² أندريه لالان، موسوعة لالان الفلسفية تر: خليل أحمد خليل منشورات عويدات بيروت، لبنان، ط2، 2001، صم 1، ص 605.

³ مصطفى سوييف وآخرون، معجم العلوم الاجتماعية والهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1975، ص 277.

⁴ شرق الدين ماجد ولينا، الفتنة والآخر، بالاشتراك بين الدار الغربية للعلوم، ناشرون، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط01، 2012، ص 24.

يبدو من التعريفات السابقة أن الغيرية هي الحيز الذي يسبح فيه الأنا والآخر، هذا الحيز يتدرج من حيز ضيق إلى حيز متوسط فحيز أكبر، أي من الأسرة حينما تكتشف الأنا مغايرتها لبقية الأفراد، إلى المجتمع الأهلي بكل مستوياته إلى المجتمع الانساني باختلاف جنسياته وعاداته وتقاليده، ولغاته وأديانه.

ويمكن أن نستخلص من مستويات الموقف السابقة مجموعة ممكنة من العلاقات بين الأنا والآخر:

- علاقة تصادم وعداوة.
- علاقة نفعية مصلحة لا تتعدها إلى غيرها.
- علاقة صداقة وتسامح قائمة على الاحترام المتبادل.
- علاقة مثاقفة ايجابية أو سلبية.

وفقا لهذه العلاقات المحتملة تتبدل مواقف الأنا من الآخر أو الآخر من الأنا هذا التصور هو عبارة عن مركب من السمات الاجتماعية والنفسية والفكرية والسلوكية التي ينسبها فرد ما أو جماعة ما إلى الآخرين¹.

2. اللغة:

إن الحديث عن أسس الهوية يقودنا إلى اللغة التي تعد الركيزة الأساسية في تكوينها ومن السذاجة يمكن أن نعتقد أن اللغة هي مجرد أداة للتواصل، بل تقوم اللغة بأدوار كثيرة ومتنوعة فهي " هي وسيلتنا لفهم العالم وتمثيله في أذهاننا وللتواصل مع الآخرين"².

¹ فتحي أبو العينين، صورة الذات وصوره الآخر في الخطاب الروائي العربي، ص 813.

² إلياس بكا ومحمد حراز، إشكالية الهوية وتعدد اللغوي في المغرب العربي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط1، 2014، ص 23.

وللتوضيح أكثر للمهام التي تقوم بها اللغة يمكن القول أن اللغة هي " التي تلعب دور القلب النابض، ومحركا وموحدا فيما وحدها تبقى تراث أمة الفكري والوجداني والأخلاقي والديني والاجتماعي والسياسي"¹.

عرفت العقود الأخيرة ومنذ الثورة الإيرانية بصفة عامة اهتماما متزايدا لموضوع "الغرب والإسلام"، ويلاحظ أن الاهتمام بهذا الموضوع كان وما يزال في أوروبا وأمريكا أكثر منه في البلاد العربية والإسلامية فعلاوة على ما ينشر في الصحف، المجالات اللغات الأوروبية، وبصورة متواصلة تكاد تكون يومية عقدت وتعد في مختلف جماعات أوروبا وأمريكا، ندوات في الموضوع نفسه، أما بنفس العنوان (الإسلام والعرب) وإما بعنوانين مختلفة بغض النظر إن الأمر يتعلق إذن بتفكيك المضامين الإيديولوجية الصريحة والمضمرة التي تجعل من عبارة "الغرب والإسلام" اليوم أداة اختزال للمتعدد وإغلاق للمنفع ونظم ونسق لما هو بطبعه دفع خارج النظم والاتساق.

ومن أجل تحقيق هذا الغرض بأكبر قدر من الوضوح والشمول سنتحرك مع المستويات الثلاثة التالية: مستوى الجمعية، الدلالية لمقولتي "إسلام"، "غرب" ثم مستوى العلاقة التقابلية أو الغيرية التي تقيمها "واو العطف" بين هاتين اللفظتين لنختم أخيرا بالتحرك على مستوى تعدد أنماط الوعي ب"الآخر"، حيث سنختار نمطا معيننا نكشف من خلاله عن نوع آخر "الغيرية" خبر غيرية النفي والاستبعاد والتحدي والصراع² .. إلخ.

تعد الهوية مجموعة من العناصر التي تستدعي حضورا مجموعة أساسها، الدين، اللغة، العادات والتقاليد، الثقافة وهذا ما تؤكد الدراسات العربية والغربية، فالباحث محمد

¹ ميمون مجاهد اللغة الرسمية، والهوية الوطنية في ظل المجتمع متعدد اللغات حوليات التراث، مستغانم، الجزائر، ع، 06، 2006م، ص 57.

² محمد عابد الجابري، الغرب والإسلام: الأنا والآخر أو مسألة الغيرية.

ولد خليفة يؤكد على ذلك قائلا: " يمثل الثلاثي المتكون من اللغة والدين والثقافة المرجعية الأساسية والحدود السيكولوجية للجماعة وشخصيتها القاعدية"¹.

تعد هذه العناصر أهم الركائز التي تقوم عليها الهوية الجماعية، لكن فاطمة الزهراء سالم تضيف عناصر أخرى في قولها: " ينتج تحديد الهوية وأركانها من لغة وثقافة وتعليم وقيم ومبادئ التوحد مع هذه الأركان"² ويمكن إدراج التعليم والقيم والمبادئ تحت مسمى الثقافة.

أما الباحث فتحي تركي فيذهب إلى أن "أخذ التاريخ في الاعتبار بصفته الصيرورة هو العنصر الرئيسي لكل صورة عن الهوية سواء كانت فردية أو جماعية"³، ومن هنا يمكن أن ندرج عنصر التاريخ إلى جانب العناصر المذكورة سابقا باعتباره عنصرا قويا من العناصر المشكلة للهوية الجمعية.

كما نجد عباس الجراري في تحليله للعناصر المكونة للهوية يقدم لنا حزمة من هذه الأسس بحسب رأيه "تشكل الهوية من أربع مكونات أو مقومات:

أولاً: تبدأ من البيئة أي الوطن في جانبيه الطبيعي والبشري، بما يعنيه من التنوع والتعدد، ومعروف ما لكل وطن في حسن أبنائه من تعلق وتفان وافتداء.

ثانياً: تأتي اللغة بدورها أداة للتواصل بين سكان هذا الوطن.

¹ محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2003، ص 109، 110.

² فاطمة الزهراء سالم، نحو هوية ثقافية عربية إسلامية، التدايمات والتحويلات والتطورات، ط1 دار العالم العربي القاهرة، مصر، ص 78.

³ فتحي التركي، الهوية والرهانات، تر، نور الدين السافي وزهير المديني، الدار المتوسطة للنشر، تونس، 2010، ص 44.

ثالثا: التراث ببعديه الثقافي والحضاري وفي سياقه المدرسي والشعبي وما أبدعته الأجيال المتعاقبة.

رابعا: الدين والتفاعل مع روحه¹.

خلاصة القول يمكننا حصر عناصر الهوية فيما يلي:

- اللغة.
- الثقافة.
- التاريخ: الذي يشمل الأحداث التاريخية الهامة وتمثل الماضي المشترك للجماعة.
- الذهنية.

3. الجانب الديني:

لقد تعززت الأنماط الدينية والسياسية كمنهج للتفكير في الآخر، فأساس الهوية الأوروبية في الواقع يعود بشكل رئيسي إلى الآخر "العدو" الذي هو أوروبا والذي حاربت أوروبا ضده، لقد كان هناك العديد من هؤلاء "الأعداء" وكان من بينه المشرق!.

من هذا الفكر انبثقت ثنائية الأنا والآخر بين الغرب والإسلام، حيث ظهر الآخر على صورة تهديد إسلامي بطابع ديني وعسكري للمسيحية الغربية في حوالي القرن 11، وتوسعت الحرب ضد المسلمين إلى حد تعبئة كل أوروبا وتبعها لذلك، طور العالم المسيحي اللاتيني بالتدرج وحدته الإيديولوجية، وقد أعطت هذه التعبئة صدره أكثر حدة لملاح الآخر "العدو" وركزت طاقات الغرب على الحروب الصليبية وفي هذا السياق كان ينظر للعالم الإسلامي كنظام سياسي وإيديولوجي معاد وكذلك كمدنية مختلفة وكمجال اقتصادي بعيد أجنبي.

¹ ينظر: عباس الجزائري، هويتنا والعولمة النادي الجزائري، الرباط 2000، ص 12، 13.

وقد أصبحت تلك الصورة أكثر واقعية في بعض الفترات بل وأدت إلى عجاب المشرق ومن هنا كان الاستشراق المرحلة التالية في تطوير صورة الآخر المقترحة وبحلول بداية القرن 19 أصبح الشعور بالتفوق الغربي مهيمنا، بما أصبح يتسم من الواقعية "البراغماتية" و"الإمبريالية" والازدراء التام لكل الحضارات الأخرى وأصبحت الهيمنة الاقتصادية والتقنية والعسكرية والسياسية والثقافية للغرب أمرا حاسما.

جاءت الحرب العالمية الأولى فحطمت اعتقادا لحضارة الأوروبية بالاستمرارية في تقديمها وقد ضل جزء من الشرق على الأقل ينظر إليه - دائما - كتهديد مستمر "للأنا" الأوربي فالجانب الديني إذن كان مؤثرا أساسيا في العلاقة بين "الأنا" و"الآخر".

يعتبر الدين أحد الثوابت والعناصر المهمة في تكوين هوية المجتمع ومن هنا "تتشط أن الدين عامل أساسي وجوهري به يتحقق تكامل الجماعة وتماسكها ووحدتها وبه يحافظ على علاقتها الاجتماعية والتي تضمن للفرد التكيف والاندماج والاستقرار النفسي.¹

قبل أن أتحدث من علاقة "الدين" بكل من "الأنا" و"الآخر" أي الضمير" أريد أن أعرض تعريفا بسيطا لكل من هذه المصطلحات الثلاث "الدين" هو ما يعتقد الإنسان أنها تعليمات الهبة موجهة إلى البشر عبر الوحي.

"الآخر" هو ذلك الصوت الهادي: الموجود داخل كل واحد منا والذي يخبرنا بالصواب والخطأ والجميل والقييح، "الأنا" هي تلك الصوت العالي المستبد الموجود في داخل كل واحد منا، والذي يثبت نفسه بنفي الآخرين وإقصائهم بعض المشتغلين بالشأن الديني يفهمون "الدين" من خلال "الأنا" ويتصف هو بالصفات التالية:

- يعاملون الناس كأشياء يجب إصلاحها وتهذيبها وليسو كبشر غافلين يمكنون حرية الاختيار.

¹ بن عبد الله محمد، سيكوباتولوجيا الشخصية المغاربية، ديوان المطبوعات الجامعية 2010، ص 72.

- لا يفرحون لنجاح الآخرين ويعتبرونه تهديدا لهم.
- نظاهر كل (أنا/آخر) المراد بذلك الاستعانة هو الاستعانة في بناء كل نمط من أنماط (الأنا/الآخر) السالفة الذكر بالألفاظ القرآنية التي تشكل شجرته المفاهيمية وعلى سبيل المثال فإن كلمة (الرسول/أو/ المرسلين) تفيد في بناء (الأنا النبوي)¹، كما أن كلمتي: (الله)، و(ربّ) كلمتان مقاضيتان خاصتان بالأنا، المطلق، فلقد ورد لفظ الجلالة (الله) 2617 مرة أو ورد لفظ (ربّ) 962 مرة مشيرا إلى الذات الإلهية².

- علاقة الأنا بالآخر تأخذ أحد أشكال ثلاثة: علاقة استثنائية تقوم على حب الأخذ دون العطاء، وتقود إلى الظلم، وهي مذمومة، وعلاقة المبادلة والمعادلة التي يتم فيها تحري المساواة والعدل بين الحقوق والواجبات، وهي غير ممدوحة ولا مذمومة.

وحدها علاقة الإيثار هي التي ترشد إليها الأسوة النبوية الحسنة، وقوامها حب العطاء والعفو والصفح وليس مجرد الأخذ، والقرآن لا يقف عند سقف الخص على العدل في المعاملات، والعدل كأساس للعلاقة بين البشرية مقامان: مقام العاملة، وهو مجال العفو والمسامحة والفضل، ومقام الحكم، وهو وحده الذي يصير فيه العدل فريضة مكتوبة، لأن الحاكم إذ تجاوز العدل الدقيق الصارم كان كمن يتصرف في حق غيره دون إذنه، لا في حق نفسه وذلك هو الظلم بعينه³.

¹ أحمد معاذ الخطيب الحسني، علاقة "الدين" بكل من "الأنا" و"الضمير".

² وردت بالقرآن الكريم كلمة رسول 263 مرة مفردة، 129 مرة بصيغة الجمع، ص 172.

³ محمد عبد الله دراز، نخبة الأزهار وروضة الأفكار، تحقيق: عبد الله إبراهيم لانصاري، قطر: مطابع قطر الوطنية، 1479، ص 93.

وفي المقابل يلزم القرآن الكريم (الأنا المسلم) بعلاقة تجاه (الآخر) قائمة على أن الغير المسلم ما للمسلم، وعليه ما عليه، وضرورة طاعة المسلم لله ولرسوله في معاملة الغير، ومن أهم أبعاد تلك العلاقات: تأدية الأمانات إلى أهلها، والحكم بالعدل، وطاعة الله ورسوله وأولى الأمر من المؤمنين، ورد التنازع إلى الله ورسوله، والشافعة ورد التحية بأحسن منها أو مثلها، والإنفاق من أفضل ما لديهم لنيل البر في كل الأحوال، وكظم الغيظ والعفو عن الناس والقوامة بالقضاء، وتجنب الولاية لمن لا يحادون الله ورسوله، وعدم تتبع العورات ضمن الهدى النبوي أن منافقا كان رأسا في أصحابه تاب وجاء إلى النبي ليستغفره فاستغفر له، ثم قال ذلك الرجل إن له أصحابا منافقين فهل يأذن له النبي بالكشف عنهم والإتيان بهم، فقال له عليه السلام: " من أتانا استغفرنا له، ومن أسر فالله أولى به ولا نحرقن على أحد سرا"¹.

4. العادات والتقاليد:

إن القطيعة الاستمولوجية مع ما تركه لنا القدماء من تراث ثقافي بحجة المعاصر والحدثة لن تفيد، ولن تكون السبيل الأصح في تحصيل ما ينتجه العقل البشري من معارف كما أنها لن تفيد في إنتاج ثقافة تناسب العصر وتقدم تمايزا لهذا المجتمع مقارنة بالمجتمعات الأخرى، ومن جهة أخرى الاعتماد على التراث وما أنتجه الآباء من معارف وحدها لن يمكن هذا المجتمع أن يعيش اللحظة الراهنة متساوقا مع العصر، وما ينتجه من ثقافة وإبداع وفكر.

يظهر الصراع جليا بين الأنا والآخر لدى العرب المسلمين والذين يستعرون في ثقافة مغايرة، ثقافة الغرب، فلا هم قارون على أن يتعايشوا مع معطيات العالم الجديد، وبلد مستقر ونسو ثقافتهم الأصلية، ولا هم قادرين على ترك فرصة يرونها الأفضل بالنسبة

¹ أبو الغداء إسماعيل بن كثير، ص 94.

إليهم وإلى أبناءهم، فلا يسعون في ذات الوقت للعودة بل يعيشون هذا الصراع واضحا جليا¹.

5. التاريخ:

- الأسس التي تشكل الهوية الجماعية فيما يلي:
- الأصول التاريخية: يدرج في إطار هذا العنصر الأسلاف الخرافات الخاصة بالتكوين الأبطال الأوائل.
- الأحداث التاريخية الهامة: ويشير فيه إلى المراحل الهامة في التطور والتحويلات الأساسية والآثار التربوية والتنشئة الاجتماعية.
- الآثار التاريخية: يدرج ضمنه كل العقائد والعادات والتقاليد والعقد الناشئة عن عملية التطبيع أو القوانين والمعايير التي وجدت في المرحلة الماضية.
- النظام الثقافي: أي المنطلقات الثقافية والإيديولوجية، والعقائد والأديان، والرموز الثقافية ونظام القيم الثقافية، ثم أشكال التعبير المختلفة "فن آداب".

يعد التاريخ الحاضنة القوية لمعمل عناصر الهوية، ففيه تلمح جميع الحلقات المرتبطة بشخصية الأمة عليه فليس التاريخ مجرد وقائع تروى، وأحداث تسرد، ولكنه في حقيقته وجوهه وسريان الماضي في الحاضر بما يعنيه هذا السريان من الوعي بالإطار الثقافي لهذا التاريخ والذي يبيلور، ويكرس بأن الانتماء العقائدي والفكري لأمة ما².

¹ محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، دراسات مناقشات، حركة الوحدة العربية المغرب، 1991، ص 20.

² حسن الوراكلي، المسلمون وأسئلة الهوية، جمعية البحث الإسلامي، تطوان المغرب، 2000، ط1، ص 70.

التاريخ أحد المقومات الأساسية التي تقوم عليها الهوية من عناصر الثقافة والتراث وهو أساس تكوين الهوية لأي شعب أو أمة، وما دام كان الإسلام تركيباً لكل النفاقات التي كانت موجودة في المجتمعات التي قام بإدخالها إلى العقيدة الإسلامية تشكل هوية واحدة متعددة المضامين، ينزعنها داخل أنساق رموزية وثقافية تشترك فيها الشعوب العربية"¹.

¹ إلياس بكا ومحمد حراز، تاريخ الجزائر العام، ديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 28.

الفصل الثاني

دراسة الأنا والآخر في رواية "سيرابا"

الفصل الثاني: دراسة الأنا والآخر في رواية "سيرابا"

أولاً: العلاقة بين الأنا والآخر في رواية سيرابا

1. الاختلاف في الدين:

لقد حاول الروائي أن يقدم لنا من خلال روايته هذه جل الاختلافات التي يحملها العالم بأسره عن ديننا الإسلامي في كل المجالات مقدما لنا أنموذجا "البلد السينغال" برواية عنوانها "سيرابا"، الذي كان الكاتب قد عاش فيه مغامرات كثيرة، ما جعلته يقف عند محطة الوصف لكي يسهل للقارئ أن يحصد بعض المعارف حول هذا البلد لما فيه من اختلافات، فهو قد عاش شخصية "الأنا"، والسينغال ككل قد لعبت دور "الآخر"، ومن هنا قد تبين لنا أن "الأنا" يختلف أتم الاختلاف عن الآخر في قوله "واستوقفني تمثال المسيح ومريم العذراء على مدخل الكنائس في صورة زنجيين أسوديين، وتهدت طويلا في فلسفة السواد المتألق منها وشدت انتباهي تسبيحة من الإنجيل المقدس منحوتة بشكل بارز في كل مدخل تقول "المجد لله في العلي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة" وهي نتيجة ترنمت بها الملائكة وهي هابطة في جوقة من السماء إلى بيت لحم اختفاء بالمسيح عليه السلام ليلة الميلاد"¹ ومن هذا المثال الحي يتضح لنا أنه حاول أن يفصح لنا نحن كقراء نبذة صغيرة شاهدها أثناء دخوله للبلد السينغال، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن شعب السينغال يهتم بالديانة المسيحية ويتخذها دين له وكأن الكاتب يجسد لنا صورة "الأنا" و"الآخر" من خلال روايته بأننا نختلف عن الآخر في الدين أم الأخلاق في قوله أيضا "ومن لدن المسيح المخلص وروحه وجدت نفسي شاخصا من حيث لا أدري في أمام بناية ضخمة تحرق بها أشجار الدر والصفصاف والموز، ويحيط بها سياج من حديد كتب في أعلى بدايتها بحروق لاتينية لقاء مريم،

¹ الرواية ص 06.

ودعاني الفضول للاطلاع على ما يوجد داخل هذا البناء العظيم فاقتحمت المكان وأخبرني حارسه الزنجي بأنها مدرسة خيرية يتعلم فيها الأطفال الديانة المسيحية بالمجان¹.

ومن خلال ما جاء به الكاتب في قوله هذا يتبين لنا أن الشعب السينغالي يجسد "الآخر" فهو مختلف عن "الأنا" من خلال الدين، من خلال وصفه لهذا المشهد، وما لفت انتباهه أكثر أن ديانتهم الأولى المسيحية بحسب ما ورد لنا فهم يحاولون زرعها حتى في الأطفال منذ نعومة أظافرهم، لكي يتزعرعوا ويكبروا على الدين المسيحي، فكان الكاتب يبين لنا مفهوم الحضارة عندهم على ماذا يترتب.

فكان الراوي قد حاول من خلال روايته هذه رصد الصراع بين الحضارة الإسلامية العربية والحضارة الغربية، فالإسلام يبين "الأنا" الغربي، والمسيح وكل الديانات الأخرى تعتبر "الآخر"، فمسألة الأنا والآخر كانت محل اهتمام جل الباحثين لما لها من أهمية بالغة تبين لنا مميزات العالم العربي والأخرى الغربي فلقد ذهب الباحث المغربي "نور الدين أفاية" إلى أن "المتخيل الجمعي الإسلامي يستمد من المرجعية الدينية أساس النظر إلى العالم، والمجتمع، والإنسان"² وهذا يعني أن المتخيل الإسلامي قد قُدَّ من مادة دينية، وأن هذه الأخيرة هي التي شكلت أفق المتخيل، وأطرت سياجه، وهذا على الرغم من أن المجتمع الإسلامي الجديد انطلق من التعدد، واحتك بكل أصناف الاختلاف، وحاول دمجها في نسيج الجماعة الإسلامية، فمهما كنا نختلف عن الآخر في مجالات كثيرة، إلا أنه يبقى هناك شيء يسمى بحتمية التواصل مع الآخر لأن الواقع هو من يفرض علينا ذلك.

¹الرواية ص 06.

² أفاية نور الدين، الغرب المتخيل، صور الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط، المركز القافي العربي بيروت 2000م، ص 101، ط1، م1.

كما أنه يوجد تميز في "الأنا العربي الإسلامي" فكذلك يوجد تميز في "الآخر الغربي الأوروبي" فكل منهم يحترم الآخر فإن كان الأنا العربي يرى نفسه متميزا فهو لديه كل الحرية في ذلك، ولو رجعنا للرواية ومضمونها لتبين لنا أن الكاتب قد استهل في بداية روايته بوصف شيء ما بدى له بالغريب فاستوقفه للتأمل أنه تمثال المسيح، لأن هنا الكاتب اختار هذه الرواية لكي يبين للعالم العربي أنه بقدر ما تشابه يختلف، ومهما كنا نختلف هذا لا يعني أننا في نقطة ضعف أو قوة هو يبقى مجرد اختلاف، لأننا نحن نحاول جاهدين لتشكيل وعي ثقافي ديني للسمو إلى درجات أعلى وأكبر، لأننا نحن كعالم إسلامي تميزنا ثقافتنا الإسلامية من حيث ان ديننا الإسلامي دين تأسس على الشرع واحترام الآخر .

ونقف مجددا عند قول الكاتب " خرج تيام على تلاميذ، العزاة أو بالأحرى بأسمال تغطي جزءا من أجسامهم السمراء النحيفة في هيئة فهد أسود بعباءة زرقاء فأضفى على المكان نوعا من الرهبة والالتزام وأقرأ التلاميذ شيئا من القرآن الكريم، ولم يكن "تيام" فصيحاً بل كانت العجمة تخالط لسانه والتلاميذ يرددون بعده الآيات القرآنية بنفس الرطابة والعجمة فلا أصل لحرف الحاء في البسمة إطلاقاً، ثم نابه عثمان في تلقين التلاميذ وينادونه (أوسمان) بضم الهمزة وتفخيم ألم المد وهو تلميذ شاب في حوالي السابعة عشرة من العمر لا يفقه سوى اللغة الأولوفية بخلاف بقية التلاميذ الذين يحسنون اللغة الفرنسية، ولكنه يحفظ جزءا من القرآن الكريم مشافهة وكان همه الوحيد أن يتعلم العربية ووعده بالمساعدة في فهمها وإتقانها"¹، شخصية "تيام" هنا في الرواية يتبين لنا أنه مهتم بالدين الإسلامي، لأنه من بلد السينغال، بلد ليس ديانته الأولى الإسلام ومع ذلك يحاول تعلم لقرآن الكريم، مع أنه ليس فصيحاً أتم الفصاحة لأن لغته الأصلية ليست بالعربية، فهو إمام أيضا في قوله "أنا إمام أنويه في الصلاة بالجماعة في الزاوية فضلا عن كوني

¹ الرواية ص 26.

معلما للقرآن الكريم أعلم الصبية في "واكام" وأتقاضى من عنده شهريا خمسا وعشرين ألف فرنك فرنسي قديم¹ فشخصية "تيام" في الرواية شخصية تتمتع بالفقه الديني والإنسانية شخصية "الآخر"، بالرغم من الاختلاف الذي بينه وبين الفتى الجزائري الذي جسد شخصية "الأنا" بكل معاييرها، وبالرغم من أنه في بلد مغترب إلا أنه صادف أناس يتمتعون بالروح الإنسانية، لأنه قد قدم له يد العون وفي قوله أيضا "تواصلت الجلسة بعد الغداء إلى أن رفع آذان الظهر، فتوضأ الجميع واتجهوا إلى قاعة أخرى مخصصة للصلاة وصلى بهم الإمام "تيام" أو المقدم تيام صلاة الظهر، جلس كل واحد بعد الصلاة والسبحة في يده يؤدي ما عليه من أوراد صوفية مطولة"²، فشخصية "تيام" قد ظهرت في محطات كثيرة في الرواية، وكان الكاتب يقارن مقارنة مضمرة بين الديانات الإفريقية والعربية، عند ذكره كلمة الصوفية فهنا "تيام" بقلب نفسه فهو يمكن أن الدين دين عسر، لكن العكس ديننا دين يسر ونجد الكاتب أيضا يقول "هل تيام موجود؟

قلت: نعم، إنه داخل البيت مستغرق في الصلاة وتلاوة الأوراد"³، وفي قوله أيضا "وبعد أن طوقنا بأزقة دكار الضيقة عدنا إلى الحي معا فاستقبله "تيام" هذه المرة بفتور ظاهر فلم يرحب به كثيرا ولم يطل بينهما المكوث وأولت ذلك إلى كون تيام متعبا ومرهقا من جراء السهر والذكر والتلاوة"⁴، ومنه قد لاحظت بأن "تيام" متدين، لكن يا هل ترى دينه يسير في الطريق الصحيح فعند وقوفنا لكلمات مثل: التلاوة، الصلاة، الذكر... يتبادر تلقائيا إلى أذهاننا أن شخصا مثل هذا يتمتع بالفقه الديني وبإيمان قوى يدعه يسهر الليل ذاكرة، لكن هل سيبقى رؤيتنا "لتيام" ثابتة لا تتغير، لأننا سنقف عند محطة أخرى

¹ الرواية ص 21.

² الرواية ص 23.

³ الرواية ص 28.

⁴ الرواية ص 28.

لمضمون الرواية في قول الكاتب "كنت أقوم بجولات مع تيام في أحياء دكار فيعرفني بأصدقائه واحدا واحدا ومن بينهم ذلك الرجل المشعوذ الذي زرنه في بيته وقد قال عنه تيام:

إنه طبيب ماهر يداوي المرضى بالأعشاب ويستخدم الجن والعماريت.

فقلت: هل يملك القدرة فعلا عن تسخير الجن والعماريت؟

قال: ليس في ذلك شك أن لدي حزاما وستراه عندما تعود إلى البيت وقد صنعه لي هذا الرجل الحكيم ولا يصيبني سوءا إذا تمنطقت به أبدا، فلو أراد أحد مثلا أن يطعنني بخنجر من الخلف فإن يده تتوقف في المواد قبل أن يصل الخنجر إلى جسدي، هكذا قال في قناعة إيمان¹.

فهنا قد حط بنا الكاتب عن نقطة أخرى لشخصية "تيام"، لأنه لو كان يتخذ الإسلام ديناً له لما آمن بكل أمور الشعوذة، فهذه الأخيرة هي شرك بالله وهو من أعظم الكبائر وذنوب صاحبه عظيم، والأهم هنا أن الكاتب صاحب الرواية الذي جسد شخصية الفتى الجزائري المغترب شخصية "الأنا" انه قد بدأ يصور لنا شيئاً من الصراع بين الحضارات لإسلامية وإفريقية، لأنه هنا قد تجلت نقاط الاختلاف بين "الأنا" و"الآخر" من الناحية الدينية الإسلامية في مناطق عديدة.

2. الاختلاف في اللغة:

إن أي قراءة مستفيضة للجدل القائم على كافة المستويات الثقافية والفكرية بين العرب والغرب، منذ قرن مضى وحتى اليوم، تكشف لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن ثمة تيارات فكرية، دينية وثقافية وأكاديمية، وبعض من دوائر صنع القرار، خاصة في الغرب،

¹ الرواية ص 30-31.

تحاول أن تصدر الصراع وتغذيه باستمرار تحت عناوين "الصدام الحضاري والثقافي" و"الخطر الإسلامي على الحضارة الغربية" أو الخطر الغربي على الحضارة العربية"، وإنتاج مفاهيم من نظير "الإرهاب"، الأصولية العربية، الإسلام فوبيا التخلف الغربي... إلخ، أو الغرب الملحد الأصولية المسيحية، الحروب الصليبية الجديدة، المؤامرة على العرب والمسلمين... إلخ"، كله يأتي في إطار نزعة تيارات في (الغرب والعرب) إلى إلغاء "الآخر" حيث يرى الكثير من الغربيين في أوروبا والولايات المتحدة أن التهديد العربي ازداد قوة نحوهم بسبب ارتباطه بالتطرف الديني بعد ظهور حركات إسلامية متشددة في المنطقة العربية ترفض بشكل مطلق الوجود الغربي في الأراضي العربية¹، من هنا يتضح لنا أن الصراع قد أخذ حيزا كبيرا لأنه يبين نقاط الاختلاف بين العرب والغرب.

لغتهم إما الفرنسية أو الألولفية، فلغة السينغال الأساسية هي الألولفية أي "اللغة لأم" بخلاف من يجيدون اللغة الفرنسية، فنجد "شخصية عثمان" الذي ينادونه ب: "أوسمان" بضم الهمزة وتفخيم ألف المد وهو تلميذ شاب في حوالي السابعة عشر من العمر، فهو طلب من الشاب الجزائري أن يعلمه اللغة العربية كونه لا يجيد سوى الألولفية في قوله "وفعلا قطعت معه شوطا فعلمته مبادئ العربية بعسر وصعوبة وكان يقضي وقته منكبا على الأوراق التي أكتبها له ويثابر على قراءتها من أجل الوصول لإتقان اللغة العربية ولم يجد مقابلا سوى أن يعلمني بدوره اللغة الألولفية وهو سيرضيني بكل وسيلة لأواصل معه المسيرة"²، ومن هذا القول قد اتضح لنا أن هناك علاقة بين "الأنا" و"الآخر" فلم يمكننا أن نعيش من دون الآخر فلا يمكننا أن نعرف ذاتنا من دون الآخر، فالناس يقيمون فيما بينهم أشكالا مختلفة من العلاقات ويستعملون الكثير من أدوات

¹ راجع، منهم سري، صراع الحضارات، سوء تفاهم بين الإسلام والغرب، من كتاب الإسلام والحداثة، الإنسحاب الثاني من مواجهة العصر، دار الأهلية للنشر، عمان 2010م، ص 69.

² الرواية ص 26.

التواصل ويكشف لنا أنه تمكن لنا نحن من تعدد العلاقة مع الآخر أما صداقة أو عداوة، فيمكن أن تخلف علاقة إيجابية أساسها التعاطف لا التنافر، فعلاقتنا بالآخر تختلف من ذات الأخرى حسب الظروف نجد قول آخر: "وأحيانا أخرى أسهر في بعض الحفلات الدينية التي يقصد فيها القصائد الدينية ولكنني لا أكاد أتبنى كلماتها إلا قليلا على الرغم من أن القصائد من التراث العربي القديم، كقصيدة طلع البدر علينا، أو قصيدة البردة وغيرها من القصائد نظرا للعجمة وعدم القدرة على الإفصاح باللغة العربية"¹، فكان الكاتب يحاول إخبارنا بأن لنا علاقة ما تربطنا بهذا الشعب السنغالي العريف انتمائهم شيئا ما ولو قليلا إلى التراث العربي لأنهم يجيدون إلقاء قصائد تراثية عربية، لكن ليست بفصاحة اللغة العربية نظرا للعجمة ولغتهم الركيكة، كونهم لا يملكون الفصاحة العربية فالشباب الجزائري جراء تواجهه في بلد السنغال، اصطدم بواقع وظروف صعبة في بادئ الأمر لم يحصل على عمل، لكنه حافظ على أصله وأصبح معلما للغة العربية في قوله: "أصبحت مدرسا أعلم الصغار اللغة العربية في ضاحية من ضواحي داكار وقد منحني الشيخ منزلا من أوقاف الزاوية، ومررتا يألف فرنك فرنسي قديم ولطالما كنت سعيدا مع أولئك الصغار الذين يمرحون ويستغنون كالعصافير، ولاسيما وأنا أوزع عليهم قطع الحلوى لما أعود من العاصمة داكار"².

فبين أيدينا رواية بعنوان "سيرابا" للكاتب الجزائري، فهي رواية جد مهمة لأنها أخذت على عاتقها رصد كل الاختلافات بين الحضارات العربية منها والإفريقية، فالصراع كما وجد في المجالات الأخرى وجد في اللغة واختلافها بين "الأنا" و"الآخر"، وما لفت انتباهي أكثر شخصية الكاتب التي ظلت على أصلها، بالرغم من تواجهه في مكان غير موطنه، لأنه يعرف حق المعرفة بان لغته تمثل هويته وثقافته، وكل ما يعطيه حق أن

¹ الرواية ص 34.

² الرواية ص 47.

يمثل شخصية "الأنا" لأنه ليس بالأمر الهين، نجد قول الكاتب في الرواية "وبسجيته الإفريقية أدرك حيرتي وقلقي فبادر بالسلام باللغة العربية وسألني عن الوقت الذي يمكن أن يتواجد فيه الموظفون..."¹، ومن هنا يمكننا أن نفهم بأن شعب السينغال مثل ما يختلف عن العرب لكنه يشابهه، فهذا الشاب قد تكلم باللغة العربية رغم أنه ليس بعربي، والإنسانية أيضا قد رسمت ملامحها على هذا الشاب الذي يدعى "عمر لاي" لأنه قد فهم حيرة الشاب الجزائري ولم يبخل عليه بالمساعدة، فهم أيضا يريدون تعلم اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم في قوله "لا يفقه سوى الكلمة الأولوية بخلاف بقية التلاميذ الذين يحسنون اللغة الفرنسية ولكنه يحفظ جزءا من القرآن مشافهة وكان همه الوحيد أن يتعلم العربية ووعده بالمساعدة في فهمها وإتقانها"².

فهنا الروائي يبقى متعجبا من حرية هذه المرأة، حيث أنها لم تقم بأي ردة فعل كأنها تحاول إغراء الآخر الأجنبي عنها بجسدها الفتان، لأنها تعلم بأن هذا الآخر الغريب عنها سيقف متأثرا بمفاتنها الجذابة، فهنا قد يثبت لنا نحن كقراء بأنهم لا يتمتعون بذلك الشيء الغامض الذي تملكه الأنثى العربية من حياء وحشمة واحترام للآخر عامة والرجل خاصة لكن هنا هذا الشاب الجزائري وكأنه لم يغض البصر، فنسى ذاته ووعيه لأنه يحاول إقناع ذاته بأن ليس بالأمر الصعب أن يهتم الإنسان بمشاعره الجياشة ونجده في موقف آخر مشابه: "كما أنني أجد المتعة في تلك الحفلات العصرية التي تستعمل فيها الآلات الموسيقية الحديثة، فيرقص الفتيان والفتيات معا، رقصات أوروبية فيها الكثير أيضا من الاعتراء والجنس والتلامس الجسدي"³، من هنا نستنتج بأن الروائي متأثرا "بالآخر" الغربي وبتقافته المخالفة لثقافتنا العربية فكأنه كان مقيد في وصلته وهنا له

¹ الرواية ص، 13.

² الرواية ص، 26.

³ الرواية ص 35.

كامل الحرية في اتخاذ ما يريد، فهنا الكاتب بين نقاط الاختلاف في مجال الثقافة، فتقافتهم غريبة لهم المتعة وكل ما يريدون ويعيشون في جو مختلط بين الجنس الفتيان والفتيات معا فهم أيضا متأثرين بالثقافة الأوروبية الغربية.

فهنا الكاتب من خلال ما جاء في روايته اتضح وكأنه يقول لنا بأن العلاقة بين الأنا والآخر علاقة تبادلية، لأن فكرة الفرد عن نفسه ومدى تقبله لها، ونظرتة للآخرين من حوله تعتبر من المحركات الأساسية لسلوكه، حيث أن هذه الفكرة تنتج أساسا من نظرة الآخرين للفرد.

فهذا الشاب الجزائري قد انبهر من أخلاقيات هذا الشعب وتمتعه بالحرية.

ف نجد الروائي في روايته "سيرابا" قد عمد على إبراز أهم النقاط التي يمكنها أن تخلق علاقة مع الآخر أي علاقة تواصلية ما بين "الأنا" و"الآخر"، فما ميز رواية سيرابا تمتعها بخصوصية عالية ثقافية وصفات البيئة السينيغالية وصفا متميزا، لأن نية الكاتب كانت لفت انتباه القراء للمطالعة أكثر وأكثر واكتشاف معلومات إن صح القول جوهرية عن بلد ما كبلد السينغال أنموذجا، فهي رواية تمتعت بأسلوب جمالي.

3. العادات والتقاليد:

تختلف العادات والتقاليد من بلد لآخر ومن منطقة لخرى، وهذا ما نلاحظه في الرواية، إذ تختلف عادات وتقاليد الأنا وعادات وتقاليد الآخر عن بعضها البعض وذلك ما يمكن أن نستكشفه من خلال ما أورده الناص في قوله: " كانوا يرتدون جلابيب افريقية ذات ألوان صاخبة، ما السناء فليتحفن بشمالات تشف عن بعض الأجزاء الحساسة من أجسادهن فقد لا تبالي الواحدة منهن بظهور نهدها من خلال كمها الواسع أو حين تتعري

أطرافها وسبقانها"¹، هذا اللباس الخاص هو ما يميز شعب السنغال "حيث أنهم يرتدون اللباس الفضفاض المزركش، إضافة إلى عدم اهتمامهم لعري بعض من أجسادهم، كالنهود وجزء منها، وهذه الثقافة تتجر على كامل الأفارقة، وفي مثال آخر "لقد أحضرت الخادمت اناء واسعاً مملوءاً أرزا وعلي قطع السمك الكبير، وتقدم الجميع للأكل بأيديهم دون ملاعق، وعند الانتهاء من الطعام غمسوا أيديهم في دلو ماء وضع جانبا هناك في الزاوية الخلفية للقاعة لهذا الغرض حتى غدا دفا خالصا في النهاية"²، الغداء الغالب عند الأفارقة هو الأرز ويضيفون إليه الكثير من البهارات وقطع السمك بطريقة أكلهم الغالبة حين يجتمعون حول المائدة لا يستعملون الملاعق كالآسيويين عكس العرب الذين لا يأكلون دون ملاعق، هذه العادة تجد فيها اختلافا ظاهرا بينه لنا الكاتب ونجد محطة أخرى تختلف فيها الأنا والآخر من زاوية العادات والتقاليد "كما أنني أجد المتعة في تلك الحفلات العصرية التي تستعمل فيها الآلات الموسيقية الحديثة، فيرقص الفتيان والفتيات معا رقصات أوربية فيها الكثير أيضا من الإغراء والجنس والتلامس الجسدي ... ثم كان هذا ديدني في كل لية وأعود متأخرا لأجد نساء الحي في انتظاري لمواصلة السهر معي في ساحة الحي المظلم الآمن أشعة المصابيح الخافتة تتبعث واهنة من نوافذ المنازل في ذلك الحي القصديري الفقير"³، فعادات وتقاليد الشعب السينغالي تتمتع بنوع من الحرية، فليس ثمة حرج في أن يخرج النسوة ليلا للسهر وشرب الشاي والتمتع والاستمتاع.

الأنثى من منظور ثنائي:

أرسى الإرث الثقافي قائمة الاختلاف على الأنثى، والحيز إلى الجانب الذكوري، محتكما إلى دلالات ثقافية خاضعة لطابع عقائدي إيديولوجي، ألصق بها لاشتراكها في

¹ الرواية، ص 23.

² الرواية، ص 23.

³ الرواية، ص 34.

طابع الأنوثة وهو الدار، لاعتبارها كائن جامدا لا يتحرك أمام الآخر الأجنبي بالمفهوم البطريركي دنس فكرها، وقدس محيطها.

والجدير بالذكر أن الرجل الشرقي أو العربي لا يعترف بوعي المرأة ولا بتثقيفها منذ سالف العهود، بحكم فحولته الذي يحصر دورها الثقافي، ويختزله في مجرد العناية السرية، كما أثرت فكرة الجنسانية والطبقية على منظور الثقافة للأنثى، خاصة أنثى العالم الثالث الذي جعل الأنثى الجنوبية مطوقة ثقافيا، لا تتال فاعلتها بأسير السبل جزاء العلاقات المشبوهة والمحسوبة الانتقائية من قبل الإمبريالية.

الأنثى العقل والحس:

حسب تصوري فإن رواية "سيرابا" قد حملت بين ثناياها وصف للأنثى بين الحس والغريزة وبين العقل والوعي إذ أن الروائي في روايته هذا كان في بادئ الأمر رجل واعي مثقف يتمتع بزداد معرفي وديني ثقافي لأنه من مجتمع محافظ يعرف حق المعرفة حدود النفس البشرية وما تمكن الخوض فيه وما تمكن الابتعاد عنه لأنه هنا سيستخدم عقله عند أول تجربة فهو يمثل "الأنا" الجزائري المثقف الواعي، لكن هنا ما يستدعي الوقوف والتأمل، لأنه قد بدأ يفقدان "الأنا الواعية" لأنه حسب ما جاء في طلبات الرواية قد بدأ بشحن روايته بمشاهد جسدية تثير انفعال القارئ من خلال إغرائه واستفزازه والتحام الآخر في ثناياها مفتكا بأسرارها الجسدية فنجده قد وضع ذلك من خلال قوله: "ودعاني عثمان ذات يوم إلى البيت فأدخلني غرفته، وصعقت عندما وجدنا أخته آوه، تغير ثيابها وقد نزعتم قميصها،... وصافحتني وهي ثانية على حالها دون حرج فألهبت أحشائي من الشبق وكدت أنفجر من حرارة الموقف الذي لا يقاوم ولا يطلق فهو فتنة لم يفتن"¹.

¹ الرواية ص 27.

ثانيا: علاقة الأنا بالشخصيات الأخرى:

1- علاقة البطل بسيرابا:

الجدير بالذكر أن رواية سيرابا قد حملت بين طياتها علاقات عديدة بين الأنا والآخر، حيث أن البطل يمثل شخصية "الأنا" بكل مكوناتها، والآخر هنا يمكننا أن نقول بأنها شخصية سيرابا، حيث أنهما قد خلقا علاقة فيما بينهم، لأن هنا الشاب الجزائري قد أحب سيرابا منبهرًا بجاذبيتها وجمالها في قوله: " وذات ليلة دعاني تيام لزيارتها إلى البيت فشعرت بأن قلبي يثب من بين جوانحي واستبدت في مزحة غامرة هزت كياني كله"¹، فهنا بدأت المشاعر الجياشة تظهر في قوله: " أثارت سيرابا في نفسي الإحساس بالشيق وربما كانت تعرف أنها تفجر عواطفني وتثيرني غير أنها تتجاهل وتحاول أن تبدو طبيعية أمامي"²، فسيرابا قد أيقظت كل ما يملكه من مشاعر، فكأنها عزلته عن عالمه وسحرتة بكل مفاتها، فما لاحظته أنا، أن علاقتها كنت مجرد هروب فالشاب الجزائري أثارت نفسه سيرابا فحاول أن يعبر لها عن مشاعره الجياشة، وهي فالمقابل لم تقبل في بادئ الأمر لكن مع الوقت دخلت في علاقة معه متأثرة به إذ أن الكاتب عمد على توضيح العلاقة مع الآخر ، مبينا أن "الأنا" العربي قد تأثر بالآخر الأجنبي الغربي".

رغم أن سيرابا قد تزوجت ب"عمر لاي" الذي كان يكن كل مشاعر الحب والتقدير لها، إلا أنها ظلت على علاقة مع الشاب الجزائري لكن المشاعر اختلفت هنا إذ أن الشاب الجزائري قد أحس بالندم لأن قد استيقظ ضميره "الأنا" ف شعر بالندم لأن ذاته لم تكن واعية.

فقد أحس بأن مبادئه لم تكن هكذا خيانة أو شيء من هذا القبيل إلا أنها ظلت على حالها ولم تشعر بأي ندم أو حسرة بالرغم من زواجها "بعمر لاي"، فظل يجربها بندمه

¹ الرواية ص 35.

² الرواية ص 35.

قائلا: "قلت: كان خطأ منا أن نفعل ذلك ويحز في نفسي أن تسوء العلاقة بينك وبينه وأن أكون سببا في الانفصال فقالت في نبرة محزونة لا يهمني أمره لا تفكر به إطلاقا"¹.

فما نستنتج من العلاقة بين البطل وسيرابا كانت علاقة تبادلية عاطفية، فهذا يجب على المرأة أن تجمع مفاتها ولا تقوم بإبرازها كي لا تثيره بالرجل مثلما فعلت سيرابا بالشاب الجزائري وهي تثير فيه الشهوة الجنسية بمظهرها الخارجي فهو يريد لها ويهابها في آن واحد قائلا: " فلا عجب أن يرتكب الرجل المعصية الأولى بسببها، فتلك لأجمل معصية وأحقها، ولا عجب أن يجن بها العاشقون، فالجنون من أجلها هو أعقل جنون والسكر بحبها هو الصحو عينه"².

2- علاقة البطل ب"عمر لاي":

لقد أخذ الروائي أنموذجا معبرا عنه من خلال شخصية "عمر لاي" الذي فتن بالثقافة الغربية الشمالية وانصاع لها، فتجرد من مبادئه وأخلاقه، فنجد السارد يدقق في وصف عمر لاي: " مال بي عمر لاي نحو حانة صغيرة دون أي تحرج أو تردد منه، واستغربت منه ذلك الانقلاب بالجزري وعرفت أن الرجل قد تخلى عن ماضيه الروحي كلية... لم أعهد هذا المزاج الزائف من قبل، بل كان يبذوا دائما حادا وحازما وقاسيا أيضا"³، فما يمكننا أن نفسره هو أن إيمانه لم يكن نابعا من القلب بل كان زائفا أي إيمان زائف وهشاشة زوجته وإتباع لآخر لأن الشاب الجزائري عند وصوله إلى بلد السنيغال كان بلدا غريبا لا يشابه أي بلد عربي لكن هذا لا يعني أنه لا توجد علاقة إنسانية بيننا نحن البشر مهما اختلف الدين أو المذهب أو الثقافة أو اللغة، هذا ما قاله الكاتب: " ثم سألني عن حاجتي فأخبرته بالأزمة التي ألمت بي حسين توسمت فيه خيرا.... هون علي

¹ الرواية ص 49.

² الرواية، ص 12..

³ الرواية، ص 13..

هذا الشاب لما طلب مني أن أرافقه وقد طمأنني واعدت إياي بالمبيت معه في زاوية شيخه الطرقي ما شئت من الأيام وأخبرني بأنه يملك غرفة خاصة في الزاوية فليس هناك مشكل على الإطلاق"¹، فجدد الروائي قد عمد على وصف الإنسانية مع الآخر وتقديم المساعدة لشخص غريب لم يعرف عليه أساسا، هنا الكاتب بين لنا أن الروح الإنسانية مزروعة في أي إنسان سواء كان عربيا أو أجنبيا فهنا بدأت العلاقة بين البطل عمر لاي أو ما بدأت به هو المساعدة والروح الإنسانية فالكاتب قدم وصفا مبسطا لمنزل عمر وما لفت انتباهي أكثر أنه يوجد لديه مصحف للقرآن الكريم أنه توجد نقطة تشابه بنية، هي الشاب الجزائري تشابه ربما ديني ".... وتحوي سرير متواضعا مغطى بعناية بأزر نظيفة وإلى جانبه مائدة صغيرة وضع عليها مصحف القرآن الكريم، ونضدت عليها بعض الكتب الدينية القديمة"².

ومع توالي الأيام بدأ عمر لاي في حب سيرابا، والشاب الجزائري أيضا، إذ أنهم يكونون نفس المشاعر لسيرابا، فهنا من المحتمل تصور علاقة بينهما في قوله "فكرت بذهني صورة عمر لاي وسيرابا وهما يخرجان معا من بيت تيام لم يكن بريئا بل جاء قطعاً ليلتقي بسيرابا مرة أخرى، نعم جاء رغبة فيها ليوطد العلاقة معها... أو هكذا خيل لي"³، فبدأت الشكوك تسكن عقل البطل الجزائري الذي ربما كانت غيرة على سيرابا " ورحت أسبح في تهويات ذاتية تغذيها الغيرة والعاطفة المتأججة نحو سيرابا"⁴، لكن هذا لم يمنع الشاب الجزائري في استمرار علاقته مع سيرابا إذ بدأ عمر لاي يشك في سيرابا وهذا

¹ الرواية ص 13.

² الرواية ص 14.

³ الرواية ص 24.

⁴ الرواية ص 24.

بعد زواجهما، لكنه تغير وأصبح شخصا آخر لأن الخيانة تغير طبائع البشر من إنسان وديع لإنسان شيطان منتقم.

3. علاقة البطل / الراوي بالشيخ :

لقد أخذت شخصية الشيخ في الرواية حيزا كبيرا لأنها الشخصية الواعي التي تتمتع برصيد واسع من الثقافة وأيضا المكانة والسلطة في قوله: "سنذهب غدا إلى الشيخ وسوف يلبي طلبك ويجد لك عملا نه عالم مثقف لا يخفى عنه شيء، وله نفوذ في السلطة"¹.

وفي قول آخر "ووصفه أوصافا تدل على اقتصاد راسخ وطاعة عمياء لهذا الشيخ الطرقي الذي يملك العلم والجاه والسلطة والمال، ثم تركني وانصرف للنوم مترقبا نتيجة يوم غد مع الشيخ الحكيم في حرص واهتمام"²

وما يمكننا استنتاجه هو ان الشيخ مما أنه يملك السلطة والمكانة والجاه، ، فما لشعب السنغال إلا أن يكونوا له كل الاحترام والتقدير لشخصيته القوية وعلمه الكبير وثقافته الواسعة، وأيضا أقرانه من كبار المسؤولين والشخصيات والوجهاء المهمين في السنغال، وهذا كله نتيجة ماله وفي وصف الكاتب: "إن الشيخ ذكي جدا ومثقف ويتقن ست لغات، ويجالس كبار المسؤولين والوجهاء في السنغال، وماله لا يحصى ولا يعد"³.

فهما وصفنا شخصية الشيخ لا يمكننا تقدير ما يتمتع به من ذكاء حاد، واتقانه لست لغات ما جعل منه شخصا ذا مكانة مرموقة بين أبناء شعبه، وهذا لم يمنعه من مقابلتهم والخروج لمقابلتهم لتلبية حاجياتهم لأنهم من الطبقة المعوزة، فهو يملك مالا وسلطة مكنته من مد يد المساعدة في قوله: "... إنه يوم مشهود تقام فيه مأدبة عظيمة،

¹ الرواية، ص 19..

² الرواية، ص 19.

³ الرواية، ص 22

ويقابل الشيخ فيه أتباعه جميعا فيعظهم ويرشدهم ويقضي حوائج المعوزين، والفقراء منهم لما لديه من تفويض وسلطة في البلد.... وأذن الشيخ المعظم لمقابلتي ودخلت من البهو المزين بالزجاج الملون المجلوب من الخارج عبر باب ضخم مصنوع من خشب الألتوس الأسود والمنقوش بزخرفة عربية ذات طابع اسلامي إلى قاعة واسعة، وكم راقني ذلك الديكور الذي تناسقت فيه اللمسات العربية الإسلامية والإفريقية والأوروبية¹

فما يكمن استنتاجه مما سبق اتضح لي أن الشيخ بقدر ما يملك من مال وجاه وسلطة، لكن هذا لم يمنع روحه الانسانية لمساعدة الآخر وتلبية احتياجات الشعب الفقير، وأيضا ما لاحظته هو أن هناك علاقة بين الأنا العربي الاسلامي والآخر الافريقي الأوربي من خلال تلك الزخرفات العربية والديكور والطابع الاسلامي العريق، فهنا وجدنا من خلال هذه الرواية ايجاد علاقات كثيرة بين "الذات" و"الآخر" كعلاقة الدين من خلال تلك النقوشات الاسلامية والطابع والزخرفات العربية التي أكدت لنا بأن ليس كل آخر وليس كل أجنبي يختلف عنا ولا يشابه.

وأیضا ينفي في نفس النقطة ألا وهي لقلة التشابه أو العلاقات، حيث نجد في قوله:
".... وأراد تيام أن يقرأه فلم يسعفه الموقف فقرأه الشيخ نفسه بنبرة عربية جلييلة"²

فهنا العلاقة التي جمعت بين الراوي (بطل الرواية) وبين الشيخ، أيضا علاقة لغوية عربية لأنه يفقه ست لغات من بينها اللغة العربية لأنها لغة "الأنا" وحتى "الآخر" يتقنها.

إذا هناك علاقة جمعت بين الأنا والآخر وهي علاقة تخص التواصل، فبالرغم من أن الآخر الافريقي ليس بعربي إلا أنه استطاع التواصل مع الأنا العربي الاسلامي لتقافته الواسعة واتقانه اللغة العربية في قوله أيضا: " أدركت من خلال حديثه أنه رجل مثقف

¹الرواية، ص 38.

²الرواية، ص 39.

فعلا ثقافة واسعة وأنه متمكن من ناصية اللغة العربية ولم يحل حديثه اثناء الحوار معي من بعض العبارات بالفرنسية¹

ونقف مجددا عند قول الكاتب: " وبدأ الشيخ بالحمد والثناء على الله عز وجل والصلاة والسلام على النبي الكريم، وأشار الشيخ في البدء بأن كلمته تتمحور حول معنى كلمة التقوى"².

وهنا العلاقة التي جمعت البطل العربي (الأنا) بالآخر الأجنبي (الشيخ) علاقة دينية اسلامي تجل على الفصاحة العربية نتيجة الثقافة الواسعة، فتقافته ليست محدودة بل واسعة شملت حتى الدين الاسلامي بلغة فضيحة لم تحمل أي ركافة أو خلل في قوله: "كان الشيخ فصيحاً جهيدا في اللغة يتكلم بتلقائية تامة دون أن يمكنك بورقة أو كتاب... وهو يفسر ويشتهد باللطائف والعبير الدينية والصوفية ويضرب الأمثلة فائض في أعماق النفس الانسانية متوغلا في شرح معنى الكون ... علما بأن الشيخ كان من عاداته أن يلقي كلمته بالأولدفية ولكنه ألقاها هذه المرة بالعربية حتى أتمكن من الفهم، وأعددت ذلك تقديرا لي منه، وقد أكد لي تيام ذلك فيما بعد فأكبرته في نفسي صلى الشيخ بالحضور صلاة المغرب والعشاء وأثناء السهرة امتزج بأتباعه في تواضع جم، وتقدمت شخصيات من شيوخ القبائل ووجهاء البلد " .

فما يمكننا استنتاجه من كل هذ هو أن العلاقة التي جمعت بين البطل (الشاب الجزائري) والشيخ السنغالي هي علاقة تواصلية دينية لغوية ذات روح انسانية حيث أن الشيخ بالرغم من عاداته في الفقاء الكلمة بالأولدفية إلا أن هذه المرة شيء مختلف إذ ألقاها باللغة العربية اهتماما بالشاب الجزائري لكي يستطيع الفهم والإدراك وهذا ما جعل

¹الرواية، ص 40.

²الرواية، ص 42.

بطل الرواية يبادل كل مشاعر الود والاحترام، لشخصية الشيخ المثالية وتواضعه أمام أي كان حتى ولو كان الشخص ليس من أقرانه، حيث طغت عليه الروح الانسانية واحترام الآخر، إذ اتضح لنا بأن هناك علاقة بين الأنا والآخر.

خاتمه

بعد دراستنا لرواية سيرابا اتسطينا أن نتوصل إلى النتائج التالية:

1. رواية سيرابا للروائي محمد سعدون كانت رواية جد فنية حيث أنها تمتعت بخصوصية جمالية وفكرية فرضتها عليها بيئة الآخر الجنوبي من دلالات ثقافية واجتماعية ودينية أعطت للرواية حقها في أن تكون ذات وصف مميز للآخر الجنوبي دون تهميش الأنا العربي.
2. كان الروائي يهدف من خلال روايته أن يسلط الضوء على بلد السينغال وما يحمله من اختلافات شملت كل المجالات الدينية، تاريخية، ثقافية، اجتماعية، حيث أنه صور في بداية عمله العلاقة التي جمعت بين الأنا العربي والآخر الجنوبي حيث أخذها بعين الاعتبار كل المؤهلات التي باستطاعتها خلق علاقة ليست سطحية مع الآخر.
3. رواية سيرابا تعد سيرة ذاتية إلى حد بعيد، حيث أن الروائي غير فيها واستبدلها بضمير الهو.
4. الرواية قد سلطت الضوء على بعض الاختلافات الدينية، اللغوية وازضافة بعض العادات والتقاليد.
5. تجلت العلاقة بين الأنا والآخر في الرواية من علاقة تفاهم إلى علاقة تصادم.
6. تعتبر سيرابا الشخصية المحورية في الرواية والتي تدور حولها أحداث الرواية لكنها تبدو شخصية غير مستقرة، حيث تتواءم أحيانا مع الآخر وتتشارك وأحيانا تتصادم معه.
7. شخصية الأنا شخصية مضطربة أثر فيها الآخر بشكل مباشر إلى حد الذوبان.

8. علاقة الأنا بالآخر (سيرابا) علاقة حب وذهول.

9. علاقة الآخر بالأوروبي علاقة إعجاب وصلت حد الانسلاخ وبدى ذلك جليا في تسمية ولدها بعيسى تنصلا من واقعها المرير.

الملاحق

الملحق:

التعريف بالمؤلف:

الدكتور محمد سعدون من مواليد 1954م بسيدي خالد ولاية بسكرة زاول دراسته الابتدائية بمسقط رأسه، وأكمل تعليمه في المتوسط والثانوي والجامعي بمدينة باتنة، وتخرج بشهادة ليسانس في الادب العربي سنة 1984م.

عمل أستاذ في التعليم الثانوي، ونال شهادة الماجستير من جامعة بسكرة في النقد الأدبي سنة 2010م، ويعد الآن أستاذا محاضرا في مادة النقد الادبي بجامعة لمسيلىة. قدم عدة أعمال في مجلات جامعية محكمة وله مقالات نقدية في مختلف الجرائد الوطنية، وهو عضو في اتحاد الكتاب الجزائري بين، وشارك في عدة ملتقيات داخل الوطن وخارجه .

التلخيص

لقد استهل الكاتب روايته برصد شخصية الشاب الجزائري الذي قد حط رحاله في بلد إفريقي له طابع مميز " بلد السينغال"، إفريقيا السمراء قد اعطته كل ما تحلم، وما يرمي إليه من أمان واستقرار، وأيضا مثل ما وصف: الكثير من الحب والرومنسية، وبين طيات صفحاته الأولى أبرز لنا صورة أنثى تبوح بالحنين وتقضي بأسرار البراءة الأولى، وبعدها بدأ الكاتب بوصف روعة المكان وسحره، فهو مكان له تميز خاص ما جعل البشر يتوافدون من جميع أنحاء الدنيا لرؤية هذا ليلة ذو المآثر الإفريقية التي أثارت دهشة كل الشعوب، وها قد ذهبت بنا الرواية لتصوير بعض من أساسيات هذا المكان كتمثال المسيح مريم العذراء، إضافة إلى تلك المدرسة الخيرية لتعليم الأطفال الديانة المسيحية بالمجان، وبعد ذلك ذهب بنا الكاتب إلى تصوير بعض من عادات وتقاليد هذا الشعب العريق، كلعبة " السيمبي" وهي من مميزات الأحياء الشعبية السينغالية القديمة متوارثة عبر الأجيال ولا يقوم بها سوى شاب قوي البنية مفتول العضلات يقدم بعض ما الحركات وفيه في الشارع محاولا القبض على من يقع عليه اختياره ولا يخلي سبيله إذا دفع له شيئا من النقود، وذهب بنا الراوي أيضا إلى تصوير مشهد مهم للغاية ألا وهو مغازلة شاب أجنبي لفتاة سينغالية لا تتجاوز من السادسة عشرة، وهذا الشاب فرنسي جاء مع مجموعة على متن الطائرة التي جاء فيها ذلك الشاب الجزائري من الجزائر إلى السينغال، فهم يتمتعون بكل لحظة ولا يباليون فيتعاطون الخمر لان معظمهم من جنس أوروبي، ويغازلون فتيات سمراوات لا يزلن في ميعة الصبا فذلك الشاب الجزائري رغم أنه ليس من الجنس الأوروبي الا أنه قد بدأ يشعر بالخيبة جراء فقدان تلك التلة وعدم رؤيتها مرة أخرى ... وبعد كل تلك الحثيات أصبح الشاب الجزائري وحيدا في شوارع داكار

متعجبا من الكم الهائل الذي يحتويه هذا البلد من أجناب وغرباء كأنهم رجال أعمال أو تجار كبار.

وبعد كل المغامرات التي عاشها ذلك الشاب الجزائري بعد فقدان كل ما تملك من نقود فلم يعد يملك شيئا سوى حقيقته ، فادلهمت الدنيا أمام ناظره فهو في بلد غريب ، ومع تلك الحيرة والقلق ساقط الأقدار له شابا يدخل القنصلية أسمر وطويل القامة فسأله عن حاله وعن سبب حيرته وقلقه، فهون عليه وطمأنه بالمبيت معه، فتعرفا وكان إسمه " عمر لاي" فذهبا نحو الزاوية التي تقع في أقصى أطراف دكار في حي يسمى داكام، ومع أحداث كثيرة ساعدته الفتاة سينغالية لكن اللغة كانت أوافيه فهي غير معتادة للشباب الجزائري ، وتلك الفتاة كانت تملك الجرأة والثقة بالنفس ، فبدأ الكاتب بوصفها وصفا لا مثيل له لأنها تملك كل أسرار الفتاة وهذه الفتاة تدعى ب" سيرابا" ، وبدها قد نادى " تيام" فكان يتكلم بالعربية مع الشاب الجزائري، وقد وعده بالمساعدة ، ثم كونا علاقة مع بعضهما " تيام والشاب الجزائري " حول اللغة العربية وتشوق تيام لمعرفة المزيد، فهذا الشاب الجزائري قد أخذت سيرابا كل تفكيره معجبا بشخصيتها الجذابة والقوية والمتقفة التي تفيض أنوثة فهي مغرية إلى حد لا يوصف، ومع توالي الوصف " إغراء لذلك الشاب الجزائري ، وبعد مرور الوقت أصبح تفكيره دائما بسيرابا فبدأ يحبها شيئا فشيئا، ثم أخذتنا الرواية إلى شخصية الشيخ تلك الشخصية المثقفة الواعية المفعمة بالروح الإنسانية وحب الخير ومساعدة المحتاجين، ومع مرور أيام عمر لا يريد الزواج بسيرابا وهو لا يحلم بكل ذلك الحب الذي يكنه الشاب الجزائري لسيرابا فنزد حب سيرابا بعمر لاي في بادئ الامر كانت علاقتهما مثالية خالية من جميع المشاكل، لكن بعد ولادتها بطفلها عيسى الذي لا يشبه اقرانه الأطفال الأفارقة فهو أشقر اللون، ذو عيون زرقاء أصبح التك يراد عمر لاي يوما وراء يوم، إنها في حقيقة الأمر كانت على علاقة مع الشاب الجزائري فتم الطلاق بينها، ورحل عمر لاي إلى إيطاليا، وأصبحت سيرابا وحيدة والشاب الجزائري أصبح معلما

للغة العربية يدرس الأطفال. لكن هذه ليس النهاية فقد تزوجت أيضا بأستاذها الفرنسي بعد وفاة والدتها، لكنها عاشت الخيبة مرتين مرة مع عمر لاي وهذا الأستاذ الفرنسي "بيير"، فقد أوهما بالحب والإعجاب لقد تحطمت كل آمالها وأصبحت وحيدة مرة أخرى، فبعد سفرها إلى فرنسا ضنت بأن حياتها ستستقر لكن عكس ذلك، عانت سيرابا كثيرا أولا موت والدتها ثم طلاقها من عمر لاي وبعدها هجر زوجها الفرنسي لها، ظل الشاب الجزائري يتربص عودة سيرابا بفارغ الصبر، وبعد كل ذلك الوقت رجعت سيرابا إلى السينغال ففرح الجميع فقد اشتاقوا لها، ومع مرور الأيام أصبح الشاب الجزائري يريد مصالحة سيرابا بأنه يريد الزواج منها لكنه يعلم بأنها ليست بالحالة الجيدة بعد كل تلك الخيبات وفشل الزواج مرتين هذا ليس بالشيء الهين، فأصبح يهتم بها ويأبئها عيسى لعلها تحن ولو قليلا، لأنها ليس بالسهل أن توافق ببساطة بعد كل ذلك الانكسار وعدم نجاح الحياة الزوجية، لأنها عاشت واقع ثقيل عليها، ومع مرور الوقت رجع عمر لاي إلى أرض وطنه السينغال بعد أن ظن الجميع بأنه قد تزوج من تلك الفتاة "أنا" وبأنه قد رجع عمر لاي إلى أرض الوطن، وهنا القرار قرار يراها هي من تختار أما العودة لعمر لاي أو الزواج بالشاب الجزائري أو أنها عاشت ألما بما يكفي تمتعها من الخوض في علاقة مجددا.

المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم.

2- المصادر:

1. رواية سيرابا لمحمد سعدون.

3- المراجع:

1. إبراهيم أحمد أبو زيد: سيكولوجية الذات والتوافق، دار المعرفة الجامعية 1987.
2. إبراهيم مذکور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة (د، ط)، 1983.
3. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، توكيان (د. ط)، (د. ت)
4. ابن منظور "لسان العرب"، اعتنى بتصحيحه أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1444 .
5. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله الله الكبير، وآخرين، لقاهرة، دار المعارف، دن، ج1.
6. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، (د ت).
7. أبو العينين (فتحي)، صورة الذات وصورة الآخر في الخطاب الروائي.
8. أبو الغداء إسماعيل بن كثير.
9. أحمد معاذ الخطيب الحسني، علاقة "الدين" بكل من "الانا" و"الضمير".
10. أفاية نور الدين، الغرب المتخيل، صور الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط، المركز القافي العربي بيروت 2000م.
11. إلياس بكا ومحمد حراز، إشكالية الهوية وتعدد اللغوي في المغرب العربي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط1، 2014.

12. إلياس بكا ومحمد حراز، تاريخ الجزائر العام، ديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
13. آمنة يوسف، تقنيات السرد في نظرية التطبيق، دار الحوار للنشر، سوريا، ط1، 1997.
14. أندريه لالان " معجم مصطلحات الفلسفة النقدية والتقنية".
15. أندريه لالان، موسوعة لالان الفلسفية تر: خليل أحمد خليل منشورات عويدات بيروت، لبنان، ط2، 2001.
16. بشير بويجرة محمد، الشخصية في الرواية الجزائرية ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، بن عكنون، (د ط)، د ت).
17. بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، لبنان، (د.ط)، 1987.
18. بن عبد الله محمد، سيكوباتلوجيا الشخصية المغاربية، ديوان المطبوعات الجامعية 2010.
19. بول ريكور: الذات عينها كآخر تر وتقديم وتعليق: جورج زيناتي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
20. جون جوزيف، اللغة والهوية (قومية، اثنية، دينية) تر: د. عبد النور خرافي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 942، أغسطس 2007.
21. الجوهري " معجم الصحاح "، دار الحديث، القاهرة د، ط، 2009.
22. حسن الوراكلي، المسلمون وأسئلة الهوية، جمعية البحث الإسلامي، تطوان المغرب، 2000، ط1.
23. الخباز محمد: صورة الآخر في شعر المتنبي، نقد ثقافي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2009.

24. دافي ماري دالين، معرفة الذات، ث ينم نصر، منشورات عويدات، لبنان، فرنسا، (د، ط)، 1983.
25. الزهرة بلحاج، الغرب في فكر هشام شرابي، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
26. سعاد محمد خضر، الأدب الجزائري المعاصر ، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (د ط)، 1967.
27. السلطان عبد القادر الشاوي، الكتابة والوجود "السيرة الذاتية في المغرب"، دار الشرق، بيروت لبنان، د.ط، 2000.
28. سمير سعيد حجازي، النقد وأوهام رواد الحداثة، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2005.
29. السيد عمر: " التأجيل النظري " الأنا والآخر من منظور قرآني، دار الفكر دمشق، ط1، 2008، ص 133.
30. السيد يس: حوار الحضارات ، الغرب الكوني والشرق المنقرد، ط1، القاهرة، مصر، 2002.
31. شاكر عبد الحميد: الظل والقناع، أنا تبحث عن ذاتها، مجلة "إبداع" يونيو العدد السادس، 1998.
32. شاكر عبد الحميد، الذات والآخر في عملية الإبداع، مجلة سطور، ديسمبر 1996.
33. شرق الدين ماجد ولينا، الفتنة والآخر، بالاشتراك بين الدار الغربية للعلوم، ناشرون، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط01، 2012.
34. الصادق قسومة، نشأة الجنس الروائي بالمشرق العربي، دار الجنوب للنشر، تونس، ط2، 2004.

35. عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري 1925-1927، ت: محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، (د ت).
36. عباس الجزائري، هويتنا والعولمة النادي الجراي، الرباط 2000.
37. عباس يوسف الحداد: الأنا في الشعر الصوفي.
38. عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات في نظرية علم الاجتماع، سلسلة عالم المعرفة، المحلي الوطني للثقافة والفنون الكويت، عدد 44، أوت 1981.
39. عبد الرحمن بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، النهضة المصرية.
40. عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة (مادة آخر) ج 1.13.
41. عبد الرحيم الكردي، البنية السردية للقصة القصيرة، مكتبة الأدب، القاهرة، ط3، 2005.
42. عبد الله الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، ط3، 1977.
43. عبد المنعم بدر، أحمد الصباحي عوض الله: تفسير الأحلام، الديني والعلمي، كتاب الشعب 1969.
44. عزيزة مريدن، القصة والرواية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1971.
45. على حرب العلم ومأزقه (منطق الصدام ولغة التداول) منشورات المنطق الثقافي العربي، سوريا، 2002.
46. عماد الدين سعد اسماعيل، النمو في مرحلة المراهقة، الكويت، دار العلم، 1981.
47. عمر بن قينة، في الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية المركزية، الجزائر، بن عكنون، (د ط)، 1959.
48. غريغور، منظور موشو، سيد محمد الصادق، الحبشي نحن والآخر.

49. فاطمة الزهراء سالم، نحو هوية ثقافية عربية إسلامية، التدايعات والتحولات والتطورات، ط1 دار العالم العربي القاهرة، مصر.
50. فتحي أبو العينين، صورة الذات وصوره الآخر في الخطاب الروائي العربي.
51. فتحي التركي، الهوية والرهانات، تر، نور الدين السافي وزهير المدني، الدار المتوسطة للنشر، تونس، 2010.
52. مالك بن نبى، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط4، 2000.
53. محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2003.
54. محمد راتب الحلاق، نحن والآخر.
55. محمد طمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د ط)، 1983.
56. محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، دراسات مناقشات، حركة الوحدة العربية المغرب، 1991.
57. محمد عابد الجابري، الغرب والإسلام، مجلة العرب ، ع503، الكويت أكتوبر 2000 .
58. محمد عبد الله دراز، نخبة الأزهار وروضة الأفكار، تحقيق: عبد الله إبراهيم لانصاري، قطر: مطابع قطر الوطنية، 1479.
59. محمد مصايف، الرواية الجزائرية بين الواقعية والالتزام ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1981.
60. محمد نور الدين أفاية، المتخيل والتواصل مفارقات العرب والغرب، دار المنتخب العربي، بيروت، (د، ط)، 1993.
61. مريدن عزيزة، القصة والرواية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1971.

62. مصطفى الصادق الجويني، في الأدب العالمي، القصة، الرواية، السيرة، ج3، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، ط1، 2002.
63. مصطفى سوبف وآخرون، معجم العلوم الاجتماعية والهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1975.
64. منهم سري، صراع الحضارات، سوء تفاهم بين الإسلام والغرب، من كتاب الإسلام والحدائث، الإنسحاب الثاني من مواجهة العصر، دار الأهلية للنشر، عمان 2010م.
65. ميخائيل إبراهيم أسعد، شخصيتين كيف أعرفها؟ دار الآفاق الجديدة، لبنان ط3، 2003.
66. ميشال فوكو، الإنتمام بالذات، ت جورج أبو صالح، مركز الإنماء العربي لبنان، د.ط، 1992.
67. ميمون مجاهد اللغة الرسمية، والهوية الوطنية في ظل المجتمع متعدد اللغات حوليات التراث، مستغانم، الجزائر، ع، 06، 2006م.
68. نبيل راغب، فنون الأدب العالمي، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، عمان، ط 1، 1997.
69. يونغ، 5، غ، جدلية الأنا اللاوعي، ق نبيل محسن، دار الحوار، سوريا، (د، ط) 1997.

المقالات والمجلات:

1. خليل عودة، مقال بعنوان: جدلية العلاقة بين الأنا والآخر، سيناريو جاهز لمحمود درويش، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين.
2. رشيد قريبع، الرواية الجديدة في الأدبين الفرنسي والمغاربي، مجلة العلوم الإنسانية، عدد 21 جوان 2004.

3. عبد الملك مرتاض، مجلة الأقاليم، عن وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ع 11-12،
1986.

4. عبد القادر شرشار، كتابة الآخر في الرواية العربية المعاصر، مجلة الخلدونية العدد
التجريبي، نشر ابن خلدون تلمسان، 2005.
القواميس:

1. La rousse, 2012.

الفهرس

الفهرس

	تشكر
	إهداء
أ	مقدمة
05	المدخل
05	الرواية العربية
05	1- الرواية بين اللغة والاصطلاح
09	2-نشأة الرواية فكيف كانت نشأة الرواية الجزائرية؟
09	3- الرواية في الأدب الجزائري
الفصل الأول: ماهية الأنا والآخر	
15	أولاً: مفهوم الأنا والآخر
15	3. مفهوم الأنا
16	4. مفهوم الآخر
17	الأنا عند الغرب
17	الأنا عند العرب
17	الآخر عند الغرب
18	الآخر عند العرب
18	ثانياً: الأنا والآخر في العلوم الأخرى
18	1. الأنا الآخر في الفكر العربي
20	2. مفهوم الأنا في علم النفس
22	3. مفهوم الأنا والآخر في السياق القرآني
24	4. مفهوم الأنا والآخر في الفلسفة

25	5. الأنا الآخر في علم الاجتماع
27	ثالثا: العلاقة بين الأنا بالآخر
27	1. الاختلاف بين الأنا والآخر
30	2. مصطلحات متعلقة بالأنا والآخر
30	الهوية
31	اللغة
34	الجانب الديني
37	العادات والتقاليد
38	التاريخ
الفصل الثاني: الأنا والآخر في رواية سيرابا	
41	أولا: العلاقة بين الأنا والآخر في رواية سيرابا
41	4. الاختلاف في الدين
45	5. الاختلاف في اللغة
49	6. العادات والتقاليد
52	ثانيا: علاقة الأنا بالشخصيات الأخرى
52	3- علاقة البطل بسيرابا
53	4- علاقة البطل ب"عمر لاي"
55	3. علاقة البطل / الراوي بالشيخ"
60	الخاتمة
63	الملحق
68	قائمة المصادر والمراجع
76	الفهرس

ملخص:

في دراستنا هذه للأننا والآخر في رواية سيرابا تطرقنا فيها للعلاقة بينهما من حيث التوافق والتضاد والتي اعتمدنا فيها على خطة مكونة من مدخل وفصلين: فصل نظري والآخر تطبيقي واتبعنا المنهج البنوي والوصفي والتحليلي وتوصلنا الى بعض النتائج نذكر منها مثلا عدم ممارسة الروائي سلطته على شخصيات روايته الرواية سيرة ذاتية إلى حد بعيد غير أن الروائي غير فيها ذاته واستبدالها بضمير "هو".

الكلمات المفتاحية: الأنا، الآخر، الذات، الغير، سيرابا، السنغال.

Summary:

In our study of the ego and the other in Serrapa's novel, we dealt with the relationship between them in terms of harmony and contradiction, in which we relied on a plan consisting of an entrance and two chapters: a theoretical and practical one. To a large extent autobiographical, but the novelist changed himself in it and replaced it with the pronoun "he."

Key words: ego, other, self, others, Serrapa, Senegal.